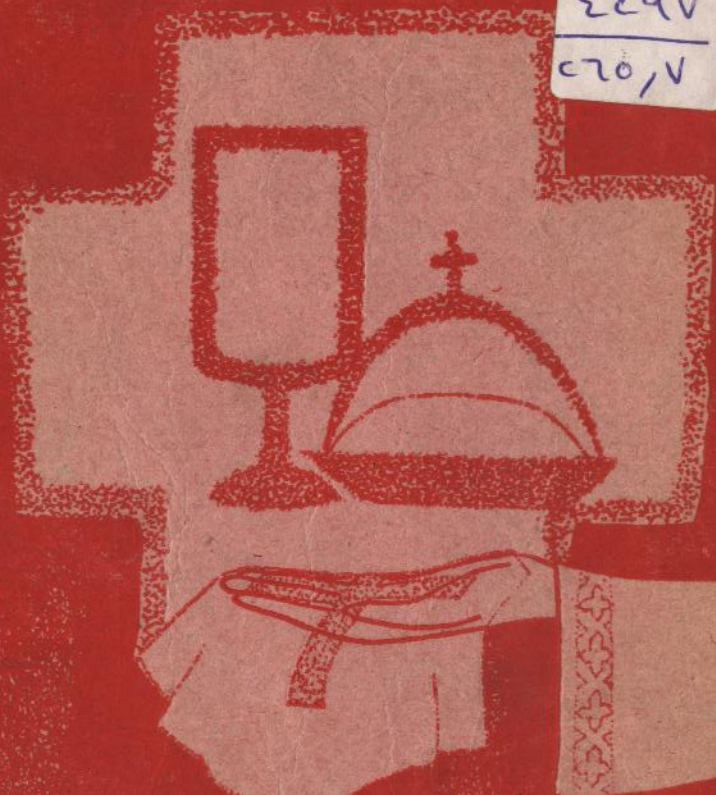


# الكنسوت المسيحي

٤٤٩٧

٤٦٥,٧



يوحنا ذهبي الفم

## تقديم

اليك ايها القارئ المحبوب .. تقدم هذا الكتاب . وسواء كنت كاهنا أو خادما أو قارئنا عاديا .. فهذا الكتاب اليك ، اليك وحدك .. أنه كتاب « الكهنوت المسيحى » ، كتبه القديس العظيم يوحنا ذهبى الفم فى ستة كتب ، ووجهه الى صديقه الحميم باسيليوس ، عندما هرب الأول من محاولة تنصيبه لخدمة الكهنوت ، بعد أن كانا قد اتفقا سويا أن ينالا هذه النعمة معا .. وتناول فيه موضوع الكهنوت من جهة وظيفته وكرامته ومسئوليته .. لذا يعتبره بعض الآباء أعظم ما كتبه ذهبى الفم ، ويصفه البعض الآخر أنه **جوهرة الكتابات المسيحية** ، وقطعه رائعة فى فن البلاغة ..

قال عنه ايسيدور بعد نياحة ذهبى الفم : « ليس من يقرأ هذا المجلد الا ويشعر بقلبه يلتهب بحب الله .. لأن يوحنا .. المفسر الحكيم للأسرار الالهية ونور الكنيسة كلها وضع هذا العمل بمهارة ودقة » (١) ..

فى هذا الكتاب تجد الخدمة مجسمة .. فى مجال الحديث عن مسئولية الرعاية يقول : « ليكن الفارق بين

الراعى ورعيته بمقدار ما بين العاقل والمخلوقات غير الناطقة ان لم يزد .. لأن من يؤتمن على خراف المسيح الناطقة عليه أولا أن يحتمل عقوبة ضياع الخراف ، عقوبة تفوق الأمور المادية ، عقوبة تمس حتى نفسه .. » ثم يقول « أن الراعى في حاجة الى التوفيق الكثير ، وأن تكون له ربوة من العيون ليلاحظ كل نفس على سجيتها » ..

أما عن الراعى نفسه فيقول : « وجب أن يتمتع الراعى بروح عالية حتى لا يفشل أو ييأس من خلاص التائهين عن القطيع ، بل يقول في نفسه دائما : عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق ، فيستفيقوا من فخ إبليس » .

أما عن عمل الكاهن فيقول « ان عمل الكاهن يسمو عن عمل العلماني بمقدار سمو الروح عن الجسد .. اذ قيل لهم من فم الرب نفسه : كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محاولا في السماء . ( متى ١٨ : ١٨ ) فهذا الربط يقع على الروح ويخترق السموات . وما يفعله الكهنة هنا على الأرض يصادق الله عليه من فوق . وما ينطق به العبيد يؤيده السيد .. انهم قد أوتمنوا بالحقيقة على آلام المخاض الروحي والجيلاد الذى يجرى بالعمودية .. اننا بواسطتهم نلبس المسيح ، وندفن مع ابن الله ، ونصير أعضاء في ذلك الجسد المقدس » .

أخيرا نصارحك أن هذا الكتاب يعتبر مرجعا لكل نفس أحبت المسيح حبا دفعها الى الخدمة حسب وصيته : « اتحنى ؟ .. أرفع غنمى » ( يوحنا ٢١ : ١٦ ) فقد عالج هذا الكتاب جميع المواقف التى تواجهنا في مجالات الخدمة ، والتى لا نستطيع في بعض الأحيان أن نجد لها علاجا ، فهو يشخص المرض ، وفي نفس الوقت يصف العلاج .

والآن نتركك لتعيش مع الرعاية ومع القطمان .. وتطلب من راعى الرعاة الأكبر الذى بذل نفسه عن الخراف أن يعود ويطلع على غنم رعيته ..

### السكنيسة

## الكهنوت المسيحي

للقدّيس يوحنا ذهبي الفم

مقدمة\*

أن الحوادث المسجلة في هذا المقال الشهير عن الكهنوت ،  
ربما حدثت عندما كان القدّيس يوحنا ذهبي الفم في حوالي  
الثامنة والعشرين من عمره . توفي والده بينما لم يزل هو  
طفلا صغيرا ، وكانت أمه مسيحية تقية ، ولكنها لم تكن  
تأمل أن يسلك ابنها في الدعوة الكهنوتية . وقد أبدى في  
حدثاته قدرة كبيرة أظهرت استعداده للنبوغ في مهنة من  
المهن الثقافية ، وبالفعل بدأ في سن الثامنة عشرة يلتحق  
بمدرسة ليبيانوس ، أحد الفلاسفة السفسطائيين المشهورين  
في ذلك الوقت ، والذي كان صيته واسعا كأستاذ للفلسفة  
والبلاغة ، وكان من أكبر المعارضين للمسيحية ، ليس في  
أنطاكية موطنه الأصلي فحسب ، بل أيضا في أثينا  
ونيقوميديا والقسطنطينية . وكان كثيرا ما يبدو متكلفا  
ومتصنعا في كتاباته ، مما يكشف عن ضعف قدرته الأدبية ،  
يحاول جاهدا أن يقلد الكتاب القدامى في أسلوبهم ، من غير  
أن يتشبع بروحهم . فهو وكتاباته ، كما يقول جيبيون

## عناوين الكتاب

٩	مقدمة
١٧	الكتاب الأول
٣٣	الكتاب الثاني
٤٩	الكتاب الثالث
٩١	الكتاب الرابع
١١٩	الكتاب الخامس
١٣١	الكتاب السادس

( فصل ٢٤ ) ، في الجانب الكبير منها مقالات تافهة عقيمة ،  
لخطيب يعمل على تزويق الألفاظ .

ولا ريب أن ذهبى الفم درس في مدرسة ليبيانيوس لكبار  
الفلاسفة اليونانيين الكلاسيكيين . ورغم أنه لم يظهر  
اعجابا كبيرا بهم فيما بعد ، ولم يقرأ لهم الا القليل ، الا أن  
ذاكرته القوية مكنته بعدئذ أن يقتبس في عظاته بعض أقوال  
هوميروس وأفلاطون . وكتاب الروايات . وفي مدرسة  
ليبيانيوس أيضا بدأ ينمى قدرته الطبيعية في البلاغة ، حتى  
أن استأذه ، في رسالة له لازالت موجودة امتدح خطابا  
وجهه تكريما للأباطرة . وبهذا أعطى الفيلسوف الوثني  
لذهبي الفم سلاحا يستخدمه ضده فيما بعد . حتى أنه  
عندما كان على فراش الموت سأله أصدقاؤه عن يستحق  
أن يخلفه فقال « أنه يوحنا . . ان لم يكن قد سرقه  
المسيحيون » .

وفي وقت ما اشتغل ذهبى الفم في مهنة المحاماة . وهذه  
المهنة كانت طريقا أكيدا لأن ينبغ في مجال السياسة كرجل  
موهوب ، وكان هذا الطريق ممهدا أمامه ، وخصوصا بعد  
أن نالت خطبه اعجابا شديدا . ولكن روح المحامي الشاب  
كانت قد ارتوت بجرعات كبيرة من نبع أنقى مما أخذه  
في مدرسة ليبيانيوس ، وكأى مسيحي في ذلك العصر ، في  
مجتمع ثلوث بأفكار الوثنية وعاداتها خصوصا في مدينة

منحلة كانطائية ، كان لابد أن تتعثر حياته في الصراع بين  
أخلاقيات العالم الذي يحيا فيه وبين مستوى القداسة  
الذي يقدمه الأنجيل . .

وقد أظهر عدم ارتياح لما كان سائدا في مهنة المحاماة  
- التي كان يمارسها - من تلاعب وجشع مادي . وازدادت  
هذه المشاعر في نفسه بتأثير صديقه الحميم باسيليوس ،  
الذي كان يزامله في مدرسة ليبيانيوس .

والكتاب الأول في الكهنوت يبدأ بوصف صداقة ذهبى  
الفم مع باسيليوس ، وكيف درسا علومهما معا ، وكيف  
توافقا في الأمزجة والميول . رغم أن باسيليوس عندما  
قرر أن يسير في ما لقبه ذهبى الفم أنه « الفلسفة الحقيقية »  
أى الاعتكاف للتأمل والدرس ، لم يسرع ذهبى الفم في أن  
يسير وراءه في ذات الطريق . وهكذا اختلف التوافق بينهما،  
فيئنا ارتفع باسيليوس نحو السمائيات ، كان يوحنا مثقلا  
بالاهتمامات الأرضية والمطامع الشبابة . واستمر فترة  
من حياته يظهر في ساحات القضاء ، ويتردد على المسارح  
وأماكن اللهو ، ولكن تدريجيا مع قراءة الكتاب المقدس ،  
ورغبة منه في تجديد علاقته بصديقه ، وأيضا بتأثير القديس  
ميليتيوس أسقف أنطاكية المحبوب . . كل هذه الأمور بدأت  
تشغل تفكيره ، حتى أنه قرر أن يترك العالم . فكان أول  
ما فعله أنه بعد فترة الاختبار المعتادة نال العماد . .

وربما يبدو مستغربا انه لم يعتمد في طفولته ، فقد كان تأخير العماد عادة سيئة في زمانه ( وقد هاجمها ذهبي الفم في عظاته ) وذلك لأن البعض اعتقدوا أن الخطية قبل المعمودية أقل جرما منها بعد المعمودية ، والبعض الآخر كان يخشى أن يربط نفسه أو اولاده برباط القداسة الذي يتطلبه عهد المعمودية . وربما كان السبب الرئيسي - في رأيي - في تأخير عماد ذهبي الفم ، هو الوضع المفكك في كنيسة أنطاكية . إذ انه من تاريخ ميلاد ذهبي الفم ( حوالي ٣٤٥ م ) ، ولدة ستة عشر عاما ، كان يجلس على كرسى انطاكية أساقفة اربوسيون يخدمون لحساب العالم . وفي عام ٣٦١ سيم الأسقف الصالح ميليتيوس ، وبعد حوالي سبعة أو ثمانية أعوام اعتمد ذهبي الفم من يده ، ثم سيم قارئاً في الكنيسة .

ولا شك أنه مهما كان السبب في تأخير المعمودية ، فإنها كثيرا ما كانت نقطة تحول حاسمة في الحياة ، واعلانا لرفض قاطع للعالم وتكريس الحياة كلها لله . وقد كانت هكذا بالنسبة لذهبي الفم . بعدها ظل ناسكا قانتا ، ثم اتجه للاعتدال في نسكه مع عمق واضح في التقوى ، ملتهدا بقوة لا تهدأ حتى نهاية حياته . ويشير الكتاب الأول ( فقرة ٣ ) الى عماده وتركه للاتجاه الديوى حيث يتكلم عن «الخروج قليلا عن طوفان العاليات» التي كان قد غاص فيها .

أما صديقه باسيلوس الذي رحب به كثيرا ، فعلى ما يبدو لم يكن قد ارتبط بجماعة رهبانية ، بل كان يحيا في مجرد عزلة مع ممارسة بعض تدابير التقشف الرهبانية . وقد عقدا عزمهما على فكرة نحوها الهروب معا الى عزلة هادئة ، ليشدد أحدهما الآخر في دروب الدرس والتأمل والصلاة ( فقرة ٤ ) . ولكن تنفيذ هذا المشروع تعطل لوقت ما أمام توسلات أم ذهبي الفم إلا يحرمها من رفقة لها وعنايته بها . ولكن رفقته كانت الى حد ما عديمة الجدوى ، لأننا نعلم ( من الكتاب ٦ فقرة ١٢ ) أنه نادرا ما كان يغادر المنزل ، محتفظا بسكونه الدائم ، منهمكا دائما في دراسته وصلواته .

واستطاع بالفعل هو وصديقه باسيلوس وأصدقاء آخرون أن يكونوا فيما بينهم جماعة اختيارية من الشباب الناسك ، يعيشون تحت نظام صارم . وقد وضع ذهبي الفم ورفقاؤه النظام العام لدراساتهم وحياتهم الروحية ، تحت إرشاد ديودورس وكارثيريوس رئيسي أهم جماعتين رهبانيتين في محيط أنطاكية . وكان ديودورس يتمتع بقدرة فائقة في التعليم ، مخالفا لتلك التفسيرات المجازية الرمزية للكتاب المقدس . التي غالبا ماتخفى أكثر مما توضح المعنى الحقيقي للنص المقدس . لذلك نحن مدينون كثيرا لتعاليمه في هذا الأسلوب العملي المنطقي الواضح في التفسير ،

الذي تفوق فيه ذهبى الفم بشكل واضح على كل آباء الكنيسة القدامى تقريبا .

وحوالى سنة ٣٧٤ م ، وبعد أن مارسوا هذا النوع من الحياة فترة ليست طويلة ، اقلقهم خبر احتمال ترشيحهم للأسقفية ( كتاب ١ فقرة ٦ ) . وكما جرت العادة في الكنيسة ، كانا معرضين - اذا اختارهما الاكليروس والشعب - ان يمسكا بالقوة ويرسما ، مهما كانا غير راغبين في هذه الدرجة ( راجع الحاشية في فقرات ٦ ، ٧ ) . وتوسل باسيليوس الى صديقه طالبا ان يكونا متفقين معا في مواجهة هذه الازمة ، كما كانا في المرات السابقة ، وذلك بأنهما اما ان يقبلا سويا هذه الكرامة المقبلة التى لا يرغبان فيها ، أو يهربا ان كان ذلك فى استطاعتهما .

وتظاهر ذهبى الفم بالموافقة على هذا الاقتراح ، ولكنه داخليا قرر أن يدخل باسيليوس فى هذه الخدمة المقدسة ، لأنه كان يعتبره مستحقا بجدارة ، وفى الوقت ذاته كان يشعر فى نفسه بعدم الاستحقاق ، اذ لا ينبغي أن تحرم الكنيسة بسبب ضعفه من خدمات رجل مثل باسيليوس ، طالما كان هذا فى امكانه . ولذلك عندما أرسل جماعه الناخيين من يمثلهم ليمسكوا هذين الشابين ، وجد ذهبى الفم وسيلته ليختفى . أسلوب ذهبى الفم فى الكلام

يبين أنه كان على علم بمجيئهم ، الأمر الذى أخفاه عن باسيليوس عن عمد ، فكانت النتيجة أنهم أمسكوا به .

وقاوم باسيليوس بعنف فى بادىء الأمر ، ولكنهم أوحوا اليه أن ذهبى الفم قد وافقهم ، وأمام هذه الحيلة رضخ للأمر . وعندما اكتشف هذه الخدعة التى خدع بها ، لام ذهبى الفم بشدة بالطبع لهذه الخيانة القاسية . ولكن ذهبى الفم كان يبدو مستريح الضمير تماما بالنسبة لما حدث ، ذلك لأنه اعتبرها خدعة صالحة وعندما وجد صديقه فى مزيج من مشاعر الضيق والغضب ، لم يتوقف - كما يقول - عن أن يضحك بكل فرح شاكرا لله على نجاح هذه الخدعة .

وظل ذهبى الفم حتى نهاية الكتاب الأول ( فقرة ٨ ، ٩ ) يدافع عن مسلكه هذا ، ويتحدث عن مبدأ مضمونه أن الخداع لأجل غرض صالح له دائما ما يبرره ويشجعه ، وخصوصا أنه تم بنبوغ ومهارة ، لأن من قام به كان قد تمرس الى عهد قريب فى ساحات القضاء . وان كان هذا التصرف ليس مرضيا لدى الكل ، ولكن ذهبى الفم كان له ما يبرره فى هذه الحيلة طالما أنها تهدف للخير وأن كنا ، احقاقا للحق ، ينبغي أن نشهد أن الصفات البارزة فى حياة ذهبى الفم كانت الشجاعة والاستقامة والأمانة سواء فى التصرف أو القول ، بالرغم من الظروف التى كانت تلح عليه أن يتنكر للحق أو يساير الزمن .

وتعالج بقية مقالات الكهنوت ، موضوع سمو هذه الخدمة الكهنوتية وكرامتها وقدسيتها ، والمصاعب والمخاطر المختلفة التي تكتنفها . وهي مليئة بتأملات عميقة ودقيقة نافعة لكل الأجيال ، وإن كانت على وجه الخصوص تلقى ضوءاً على حالة الكنيسة والمجتمع في العصر الذي عاش فيه ذهبي الفم .

وينبغي أن نلاحظ أنه قد تكلم عن الكهنوت عموماً ، وليس من السهل أن نحدد الفقرات التي قصد بها أن يتكلم عن درجة معينة من درجات الكهنوت . وفي أحيان كثيرة ربما لم يكن يفكر في واحدة دون الأخرى ، وكما كان مستقراً ، لم يكن الأسقف في خدمته يتعدى حطوبود ايبارشيتيه ، بل كان يرعى مدينة كبيرة معينة ، فكان الراعي الأكبر للشعب ، وفي نفس الوقت القائد للأكليروس ،

وقد خلط البعض بين باسيليوس صديق ذهبي الفم ، وبين باسيليوس الكبير أسقف قيصرية في كبادوكية ، الذي كان يكبر ذهبي الفم بخمسة عشر عاماً . وخلط البعض الآخر بينه وبين باسيليوس أسقف سلوكية الذي كان أقل منه سناً . وفي الحقيقة لا نعرف شيئاً عن باسيليوس أكثر مما كتب في هذا المقال . وإن كان يظن أنه هو باسيليوس أسقف رافانيا في سوريا ، التي لا تبعد كثيراً عن أنطاكية ، وهو الذي حضر مجمع القسطنطينية في ٣٨١ م .

## الكتاب الأول



## - ١ -

كان لى كثيرون من الأصدقاء المخلصين الحقيقيين ، الذين أدركوا أصول الصداقة وسلوكوا فيها بأمانة . ولكن بين هذا العدد الكبير كان واجد يفوقهم جميعا فى التصاقه بى .

كان واحدا من الذين يقفون دائما بجانبى ، كنا مرتبطين معا فى ذات الدراسات ، وعلى أيدى نفس الأساتذة (١) . لنا نفس الحماس والغيرة فى دراستنا التى كنا نقوم بها ، وغيرة حارة بنفس القوة عند كلنا ، نتجت عن الظروف الواحدة ، ولم يكن هذا فقط عندما كنا ملتحقين بالمدرسة ، ولكن حتى بعد أن غادرناها . وعندما كان لزاما علينا أن نختار الطريق الأمثل الذى ينبغى أن نسلكه ، وجدنا أنفسنا أن لنا نفس التفكير .

## - ٢ -

وبالإضافة الى هذا ، كانت هناك عوامل أخرى حفظت لنا توافقنا سليما ثابتا . فبالنسبة لعظمة النشأة ، لم يكن لاحدنا ما يستحق أن يتعالى به على الآخر . فلم أكن مفرطا

(١) أندروجانيوس فى الفلسفة وليبانيوس فى البلاغة

- ١ - باسيليوس يفوق كل أصدقاء ذهبى الفم .
- ٢ - ترابط باسيليوس وذهبى الفم ، ودراستهما المشتركة فى كل المواضيع .
- ٣ - اختلافهما بخصوص الاتجاه نحو حياة الرهينة .
- ٤ - اقتراح المعيشة فى بيت مشترك .
- ٥ - توسلات المحبة من أم ذهبى الفم .
- ٦ - حيلة ذهبى الفم فى موضوع الرسامة .
- ٧ - باسيليوس يتهم ذهبى الفم بالخداع ، وآخرون يتهمونه بالكبرياء والمجد الباطل .
- ٨ - دفاع ذهبى الفم ردا على الاعتراضات وحديثه عن فائدة الحيلة إذا كان توقيتها سليما .

في الفنى ، ولا كان هو موقفا في الفقر . ولكن كما اتفقت  
امزجتنا ، هكذا أيضا مواردنا . وكانت عائلانا من طبقة  
واحدة ، لذا فقد كان كل شيء يتوافق مع ميولنا .

### - ٣ -

ولكن لما كان امامنا ان نسلك طريق الرهينة المقدس ،  
والفلسفة الحقيقية (٢) ، اختل ميزاننا ، فبينما نما هو جدا  
في حياته ، كنت - وأنا منغمس في شهوات العالم - مشدودا  
بها الى اسفل ، ومثقلا بطياشة الشباب . وفي الايام التالية  
ظلت صداقتنا في الواقع ثابتة كما كانت من ذى قبل ، ولكن  
احاديثنا توقفت . لانه لم يكن ممكنا لاشخاص ليس لهم  
الاهتمام الواحد ، ان يقضوا معا وقتا طويلا . ولكن حالما  
بدات اخرج قليلا عن طوفان العالميات ، استقبلنى بلذرايين  
مفتوحتين . ولكن حتى هذا لم يكن كافيا لان نصل الى  
التوافق الاول اذ رغم ان المبادرة كانت منى اولا ، وقد اظهرت  
حماسا كبيرا ، الا انه ارتفع هو فوق مستواى ، وحلق الى  
علو شاهق .

(٢) تعبير استعمله ذهبى الفم كثيرا بمعنى الحياة المكرسة للتأمل  
والدرس .

### - ٤ -

واذ كان رجلا صالحا ، يقدر صداقتى كل التقدير ،  
فصل نفسه عن الباقيين ( باقى الاخوة ) ، وقضى كل وقته  
معى ، الأمر الذى كان يود ان يعمل من قبل ، ولكن طياشتى  
عاقته كما ذكرت . لانه كان مستحيلا على انسان تردد على  
ساحات القضاء ، وكان في قمة الاضطراب من ملذات  
العصر ، ان يكون دائما في صحبة رجل منكب على كتبه ،  
لم يضع قدمه في السوق مطلقا . وبالتالي عندما زالت  
العوائق ، ونقلنى الى نفس الظروف التى كان يعيشها ،  
اطلق العنان لرغبته التى طالما كان يسعى اليها . فلم يحتمل  
ان يتركنى لحظة ، بل أخذ يحثنى دائما ان يترك كل منا  
بيته ، لنسكن معا في مسكن واحد . والحق انه اقنعنى ،  
وبدا الامر يأخذ طريقه الى التنفيذ .

### - ٥ -

ولكن نحيب امى المستمر عاقنى عن ان احقق له هذه  
الرغبة ، او بالأحرى ان اقبل من يديه هذه العطية . لأن امى  
عندما علمت انى افكر في هذا المشروع أخذتنى الى حجرتها  
الخاصة ، وجلست بجانبى على السرير الذى ولدتنى

فيه ، وذرفت سيلا من الدموع ، اضافت اليها كلمات تستحق الرثاء اكثر من بكائها (٣) .

- ٦ -

هذه الكلمات وغيرها التي قالها لى امى ، رويتها لهذا الشاب النبيل . ولكن رغم أنه لم يعلق قلبه دون هذه الكلمات ، الا انه ظل يحيد رغبته الاولى . . وبينما نحن على هذا الوضع ، هو لا يكف عن طلبه ، وأنا ارفض الموافقة ، اذ بنا نزعج لخير يصلنا فجأة انا على وشك أن نرشح لرتبة الاسقفية ، وحالما سمعت هذا انتابنى ذعر وحيرة . ذعر لئلا أمسك بغير ارادتي ، وحيرة متسائلا كما كنت دائما : متى بدرت هذه الفكرة عنا الى عقول هؤلاء الناس !!! فاني اذا نظرت الى نفسى لا أجد فى شيئاً يستحق هذه الكرامة . .

(٣) يستطرد ذهبى الفم فى وصف الحديث الطويل الذى كانت امه ترجوه فيه الا يتركها الى حياة الوحدة ، وتذكره انها تزلت فى سن مبكر ، وتحملت مشاق المسؤولية منذ حداثة سنها ، وانفقت عليه كل ماتملك ، وفى كل هذا كان هو ( ذهبى الفم ) ، عزاءها الوحيد . وكل ماطلبته مقابل هذا ، هو الا يدفعها الى تزل نان ، ولا يجدد أحوالها . . . ثم وعدته أن توفر له كل أسباب الخلوة والدراسة كما يريد .

ثم جاء هذا الشاب النبيل الى خفية ، وتحدث معى عن هذه الامور ، كأنه يجهل الأمر ، متوسلا أن نوجه أعمالنا ومشورتنا ، فى هذه الآونة كما كنا من ذى قبل ، بطريقة واحدة ، فهو على استعداد أن يتبعنى فى أى طريق أسلكه ، سواء حاولت الهروب أو قبلت أن أكون أسقفا .

وعندما ادركت غيرته ، واعتبرت انى سسوف اسبب خسارة للكنيسة كلها اذا كنت ، بالنظر الى ضعفى الشخصى ، احرم قطيع الكنيسة من شاب صالح ومؤهل تماما لرعاية اعداد ضخمة ، رفضت أن اصرح له بما ضمرتة ، رغم انى لم اخف عنه شيئا من أفكارى قبلا .

اخبرته انه من الأفضل أن نؤجل قرارنا بالنسبة لهذا الأمر الى وقت آخر ، طالما انه ليس أمرا عاجلا . وبهذا أقنعتة أن يبعد هذا الموضوع من تفكيره ، وفى نفس الوقت بذرت فيه الأمل أنه اذا حدث لنا شيء مثل هذا ، فسوف أكون معه فى نفس الاتجاه .

ولكن بعد وقت قصير ، عندما حضر الشخص المكلف برسامتنا ، ظللت مختفيا ، أما باسيليوس ، جهلا منه بهذا ، فأخذوه ووضعوا عليه النير لكنه كان يأمل ، طبقا لما أعطيته من وعود ، اننى سوف الحقه بالتأكيد ، بل كان يفترض بالحرى أنه هو الذى سوف يتبعنى ، وذلك لان

بعضاً من الحاضرين الذين راوه يجاهد الا يمسكوه ،  
خدعوه عندما تساءلوا بتعجب : كيف ان الشخص الذى  
اشتهر بحدة الطبع ( قاصدين اياى ) قد خضع بهدوء لحكم  
الاباء ، بينما هو الذى يعتبر رجلا اكثر حكمة وهدوءا ،  
يبدو هكذا عنيدا ومتكبيرا بتمردة وجموحه ومقاومته(٤) .

ولما استسلم ، ثم علم فيما بعد انى نجحت فى الهروب ،  
حضر الى فى حزن عميق وجلس بجوارى وحاول أن يتكلم ،  
ولكن افكاره الحزينة عاقتة ، ولم يستطع أن يعبر بالكلام  
عما قاساه من عصف ، ولما فتح فاه لم يقو على النطق ، لأن  
الحزن كان يحبس كلماته قبل ان تصل الى شفثيه .  
وعندما رايت دموعه واضطراب حاله ، ضحكت بكل فرح ،  
لاتى أصرف السبب ، وامسكت بيده اليمنى وقبلته ،  
وشكرت الرب ان خطتى قد انتهت بالنجاح كما كنت أصلى

(٤) كانت الرسامة بالارغام شائعة فى الكنيسة فى ذلك الوقت ، فالقديس  
أوفسطينوس جروه امام الاسقف وهو يبكى وطلبوا رسامته ، والقديس  
مارتينوس سجنوه من فلانيه وأخذوه للرسامة تحت الحراة . وظلت  
صورة التمتع من الرسامة تقليدا فى الكنيسة القبطية فكان المنتخب  
لكرسى الاسكندرية يؤتى به الى القاهرة مربوطا بالسلاسل ، كأنما  
ليتموه من الهروب .

دائما . ولكنه لما رآنى مبتهجا ومتهللا بالفرح ، وادرك انى  
قد خدعته ازداد ضيقا وغما .

- V -

ولما هدا بادرنى قائلا : اذا كنت قد رفضت النصيب  
الذى عين لك دون أن تولينى اى اعتبار ، فكان يجب على  
الاقبل أن تعمل حسابا لسمعتك الشخصية ، ولكن الذى  
حدث انك بهذا العمل اطلقت عليك السنة الجميع ، فالعالم  
يقول انك تركت هذه الخدمة حبا فى المجد الباطل(٥) .  
ولكنى خجلت أن أقول لهم انى لم اكن أعلم انك تدبر هذه  
الخدمة منذ زمن طويل ، لئلا يقال أن صداقتنا كانت  
مظهرية فقط ..

ولكن كيف يمكن أن تحتمل الفضيحة المقبلة ؟ فالبعض  
يتمونك بالكبرياء ، والآخرى بالمجد الباطل . والذين  
يشرفقون فى اتهامنا ، يصفوننا بهاتين الرذيلتين ، ويضيفون  
أنا قد اهنا الذين صنعوا معنا كرامة رغم أنهم يستحقون  
هذه الإهانة اذا لحقتهم ، لانهم تركوا كثيرين من الرجال

(٥) رأينا أن نستغنى عن عبارات كثيرة من هذه الفقرة مجنبا للاستطراد  
والإطالة ، مع وضع النقط مكان العبارات المحذوفة . ( المترجم ) .

الناسيين و قدموا الى هذه الكرامة شيابا(٦) . كانوا حتى الامس منغمسين في اهتمامات هذا العالم .. قل لى ان كان هناك عذر مقبول اقدمه لهؤلاء الذين يتهمونا ..

- ٨ -

**ذهبي الفم :** فقلت له : فلتطب نفسك ، لاني لست على استعداد ان اجيب عن نفسى في هذه الامور فحسب بل ايضا ساحاول على قدر الامكان ان اجيب حتى عن هذه الاشياء التى لم تطلب منى الاجابة عنها ..

انه لغباء غريب منى ان افكر فقط في مديح العالم الخارجى ، وابدل جهدى في تفنيد اتهاماتهم ، في حين انى اجد نفسى عاجزا عن ان اقنع اعز اصدقائى انى لم اخطيء اليه ، او اننى اعامله بلا اكتراث مقابل ما اظهر لى من غيرة نحوى ...

ترى ما هو الخطأ الذى ارتكبته في حقاك ؟

هل هو لاني خادعتك واخفيت عنك غرضى ؟ ولكتى فعلت

(٦) كان ذهبي الفم في حوالى الثامنة والعشرين من عمره في ذلك الوقت . وقد حدد مجمع قيصرية الجديدة ( حوالى سنة ٢٢٠ م ) سن الثلاثين على انه السن المناسب للكهنوت . وهو نفس السن على الاقل بالنسبة للاسقف ، ولو ان بعض الاساقفة سيموا في اقل من هذا السن .

هذا لفائدتك انت يامن خدعتك ، ولفائدة الذين سلمتكم اليهم عن طريق هذا الخداع . لانه اذا كان الخداع شرا مطلقا ، وليس من الصواب ان نسلك فيه ، فانى على استعداد ان اتحمل اية عقوبة ترضيك ..

ولكن ان لم يكن هذا الامر ضارا باستمرار ، بل يعتبر نافعا او ضارا بحسب نية الذين يفعلون ، لذا يجب ان تكف عن شكواك من خداعى لك .. لان الحيلة في وقتها المناسب ، وبقصد مستقيم لها فوائدها .

واذا فحصت تاريخ القادة الذين تمتعوا بسمعة عظيمة منذ اقدم العصور ، سوف تجد ان معظم انتصاراتهم قد احرزوها بالخدعة ، وانهم نالوا اعجابا اكثر من الذين ينتصرون بالحرب المباشرة ... لان الاخيرين يزودون معسكراتهم بالكثير من المال والرجال لذا فانهم لا يفيدون شيئا من انتصارهم ، ولكنهم يعانون من الخسائر مايعانيه المنهزمون اذ يضحي كلاهما بالجيش ، ويتكبد النفقات . والى جانب هذا ، فانهم لا يفرحون بكل امجاد النصر .. لان المنهزمين يشعرون في انفسهم ان هزيمتهم مادية فقط . اما الذى يستطيع ان يحرز النصر عن طريق الحيلة فانه يورط العدو لا في كارثة فقط بل في سخرية ايضا .

امر آخر لا يقل اهمية هو انهم يحتفظون للدولة بانتصار

**ذهبي الفم :** ولكن ياسيدي التقدير المحبوب ، ان هذا هو نفس السبب الذي جعلني احرص ان اقول انه كان من الصالح ان استخدم هذا الصنف من الاحتيال ، حتى في معاملة الاصدقاء والأعزاء . والدليل على هذا أنك اذا ذهبت الى احد الاطباء، وسألتهم كيف يعالجون المرضى من أمراضهم فانهم يخبرونك أنهم لا يعتمدون على مهارتهم الفنية فحسب، بل أحيانا يقودون مرضاهم الى الصحة باستخدام الحيلة ، ويستعينون بها مع فئهم .

وإذا سمحت لي فسوف أقص عليك مثلا واحدا من امثلة كثيرة في الخداع ، سمعت ان أهل الطب استخدموها.

رجل انتابته فجأة حمى خطيرة جدا ، وارتفعت حرارته جدا ، ولكن المريض رفض العلاج الذي يمكن أن يخفض درجة الحرارة ، والح في طلب جرعة من الخمر متوسلا الى الجميع أن يقدموها له ، ويمكنه من اشباع هذه الرغبة القائلة - أقول قائلة ، لأنه لو استجاب أحد لهذا الطلب فان هذا لا يسبب زيادة الحمى فحسب ، بل يقود الى الجنون .

عندئذ عندما فشلت المهارة الفنية ، هنا تدخلت الخدمة . . . أحضر الطبيب اناء فخاريا أخرجه للوقت من الفرن وغمسه في الخمر، وأخرجه فارغا ثم ملاه بالماء ، وأمر باظلام

حقيقى ، لان الكثرة في العتاد والوفرة في الرجال ليست مثل القدرة العقلية ، فاذا استخدمت الاولى في الحرب ، فانها بالضرورة سوف تستهلك ولا تعود تنفع بشيء أما طبيعة الحكمة فانها تزداد كلما نستعملها .

وحاجتنا الى الحيلة ليست فقط في اوقات الحرب بل ايضا في اوقات السلم ، ليس فقط في شؤون الدولة بل ايضا في الحياة الخاصة ، في تعامل الزوج مع زوجته ، والزوجة مع زوجها ، والابن مع ابيه ، والصديق مع صديقه ، والأولاد مع والديهم . فما كان يمكن لابنة شاول أن تخلص زوجها من يد أبيها(٧) الا عندما خدعته ، وعندما اراد اخوها أيضا أن ينقذه مرة أخرى من الخطر عساده ليستخدّم سلاح الزوجة ذاته .

**باسيليوس :** ولكن واحدة من هذه الحالات لا تنطبق على . لاني لست عدوا ، ولا واحدا من هؤلاء الذين يحاولون أن يوقعوا بك الضرر ، بل على النقيض ، فقد أخضعت كل اموري لرأيك ، وكنت دائما أطيع كل ماتشير به على .

القادرة أن توجد السبل حين تفضل الحيل ، وتجد مخرجا لما يعجز عنه الفكر . لاني لا أسمى فينحاس قاتلا ، رغم أنه قتل اثنين بضربة واحدة (١٢) ، ولا ايليا ، بعد ان قتل مائة جندي مع قوادهم (١٣) ، وأراق بحرا من الدماء ، عندما قتل هؤلاء الذين عبدوا الشياطين (١٤) . لانه اذا جاز لنا ان نقبل ان نختبر الأفعال مجردة في ذاتها بعيدة عن نية فاعليها ، لأمكن لأحد - اذا أراد - ان يحكم على ابراهيم بجريمة قتل طفل (١٥) ، ونتهم كل من حفيده (١٦) وسليله بالشر (١٧) والقدر ، لأن الأول اخذ البركة ، والثاني حول ثروة المصريين لجماعة بنى اسرائيل . ولكن ليس الوضع كذلك بل لنستبعد هذه الفكرة الظالمة ، لاننا لسنا نعفيهم من الملامة فحسب ، ولكننا نعجب بهم لأجل هذه الأمور . والله أيضا يمدحهم لأجلها . لأن الرجل الذي يجب أن يسمى محتالا بحق هو الذي يستعمل هذا الأمر لفرض شرير ، وليس الذي يفعله بقصد صالح . بل كثيرا ما يكون من اللازم أن نستخدم الحيلة ، ونحقق بها أكبر قدر من الفائدة ، في حين أن الذي يسلك طريقا مستقيما قد يصيب الشخص الذي لم يخدعه بضرر كبير .

العجزة التي يرقد فيها المريض بالاستائر حتى لا يفضح الضوء حيلته ، ثم قدم له الأناء ليشرب مدعيا أنه مملوء بخمر خالصة . وقبل أن يتناوله الرجل بكلتا يديه ، خدعته الرائحة ، ولم يتمهل ليختبر ما قدموه له بل أقتنع بالرائحة ، وخدع بالظلام ، فتجرع الكأس بلهفة ، ولما ارتوى بها تخلص في الحال من احساسه بالاختناق ، وأنقذ من الخطر الذي كان على وشك الحدوث . الا ترى ميزة الخداع ؟

وإذا أراد أحد أن يحصى حيل الأطباء لاستطالت القائمة بلا حدود . وليس فقط الذين يعالجون الجسد بل أيضا الذين يعالجون الروح قد نجدهم دائما يستخدمون هذا العلاج . فبولس المبارك ، لكي يستميل شعب اليهود (٨) ختن تيموثاوس (٩) ، رغم أنه حذر الغلاطيين في رسالته (١٠) ان المسيح سوف لا ينفع الذين اختنوا شيئا . لهذا السبب أطاع الناموس رغم أنه حسب البر الذي في الناموس حسارة ، بعد نوال الايمان بالمسيح (١١) لأن فوائد الحيلة كثيرة الا اذا كانت بنية شريرة .

وفي الحقيقة أن عملا من هذا النوع لا ينبغي أن يسمى خداعا ، بل هو نوع من التصرف الحسن والنبوغ والمهارة

(١٢) ٢ ملوك ١ : ٩ - ١٢

(١٣) عدد ٢٥ : ٧

(١٥) تكوين ١٧ : ٣

(١٤) ١ ملوك ١٨ : ٣٤

(١٧) خروج ١١ : ٢

(١٦) تكوين ٢٧ : ١٩

(٩) أعمال ١٥ : ٣

(٨) أعمال ٢١ : ٢٦

(١١) فيلي ٣ : ٧

(١٠) غلاطية ٥ : ٢

## الكتاب الثاني



- ١ -

يمكننا أن نبرهن بالدليل القاطع أنه من الممكن المخادعة لأجل هدف صالح ، أو على الأصح لا تسمى خدعة في مثل هذا الظرف ، بل هو نوع من التصرف الحسن جسدير بكل امجاب . ولكن طالما أن ما قيل كاف للتوضيح فاته مما يجلب الملل والضيق أن أطيل حديثي في الموضوع . والآن بقى عليك أن تثبت اذا كنت لم استخدم هذه الحيلة لفائدتك .

**باسيليوس** : وما هي الفائدة التي كسبتها من وراء هذا التصرف الحسن . أو السياسة العكيمة ، أو سمها كما يحلو لك أن تسميها !!

**ذهبي الفم** : أي فائدة ، سيدي ، يمكن أن تكون أعظم من أن تعمل تلك الأمور التي أعلنها المسيح بشخصه أنها علامات المحبة له (١) ؟ فهو يخاطب الرسول قائلا : « بطرس أتجبنى ؟ » ولما اعترف أنه يحبه أكمل الرب قائلا « ان كنت تجبنى أرفع غنمي » وقد سأل السيد التلميذ كذلك لا لكي يعرف ( لأنه فاحص قلوب جميع الناس ) ولكن لكي

- ١ - الكهنوت هو اعظم دليل على محبة المسيح .
- ٢ - خدمة الكهنوت أعظم من أي خدمة أخرى .
- ٣ - الكهنوت في حاجة الى نفس متسمة وسامية .
- ٤ - وهو مملوء بالكثير من المصاعب والمخاطر .
- ٥ - ذهبي الفم تجنب هذه الوظيفة لمحبهه في المسيح .
- ٦ - اظهار فضيلة باسيليوس وجهه المنتهب .
- ٧ - ذهبي الفم لم يقصد اهانة ناخبيه عندما تجنب الرسامة .
- ٨ - بهروبه خلصهم من اللوم .

الحكيم الذي يقيمه سيده على خدمه « (٢) » مرة أخرى تبيرو هذه الكلمات وكان قائلها في شك، إلا أنه لم ينطقها شاكاً ولكنه أراد أن يسأل بطرس ان كان يحبه ، لا لكي يعرف مشاعر التلميذ ، ولكن رغبة في أن يظهر عمق حبه الفائق . نفس الوضع عندما يقول « من هو العبد الأمين الحكيم » فانما يقولها ليس جهلاً منه بمن هو الأمين الحكيم ، ولكن رغبة في أن يعلن أن مثل هذا الشخص نادر ووظيفته سامية . فتأمل مدى عظمة المكافأة ، لأنه يقول « انه يقيمه على جميع أمواله » (٤) .

## - ٢ -

هل لازلت تشك في أننا اخطأنا اليك عندما قدمنا لك لترعى رعية الله ، وتقوم بالعمل الذي طلبه الرب من بطرس تعبيراً عن محبته التي فاقت محبة بقية التلاميذ عندما قال له « يا بطرس ، تحبني أكثر من هؤلاء ؟ ارفع غنمي » . . . كان يمكن أن يقول له : « ان كنت تحبني مارس الصوم ، والنوم على الأرض ، والسهر الطويل ، دافع عن

(٢) متى ٢٤ : ٤٥

(٤) متى ٢٤ : ٤٧

يعلمنا عظم اهتمامه بتدبير أمر هذه الخراف . واذ يتضح لنا هذا ، سيظهر لنا بطريقة مماثلة أن جزاءاً عظيماً لا ينطق به سوف يعطى للذين يهتمون بهذه الخراف التي يقدرها المسيح تقديراً كبيراً . لاننا عندما نرى أحداً يهتم بأفراد بيتنا أو شعبنا ، فاننا نعتبر اهتمامه بهم علامة محبة لنا ، مع أن ذلك يمكن تقديره بالمال . فبأي مجازاة اذن يجازى هؤلاء الذين يرفعون قطيعه الذي اشترده لا بالمال ولا بشيء آخر بل بموته ، باذلاً دمه كسمن للقطيع . لذلك عندما قال التلميذ « يارب أنت تعلم انى احبك » ، واستشهد بالمحسوب نفسه كشاهد على حبه ، لم يته المخلص حديثه ، بل أكمل موضحاً علامة الحب . لأنه في هذا الوقت لم يرد أن يبين مقدار حب بطرس الكثير ولكن مقدار حبه هو لكنيسته ، وأراد أن يعلم بطرس ويعلمنا جميعاً أن نكون غيورين لنفس الهدف ، لأنه لماذا لم يشفق الرب على ابنه الوحيد (٣) بل أسلمه رغم انه وحيد ؟ ذلك لكي يصلح لنفسه الذين كانوا معتبرين أعداء له ويجعلهم شعبه الخاص .

لأنه لماذا سفك دمه ؟ ذلك لكي يريح هذه الخراف التي عهد بها الي بطرس ومن بعده. لذلك قال الرب « من هو العبد الأمين

(٣) رومية ٨ : ٣٢ ، يوحنا ٣ : ١٦

المظلومين ، كن أبا لليتيم وللأرملة عوض زوجها ... ولكن الحقيقة أنه ترك كل هذا جانبا وقال « أرفع غنمي » . لأن كل الأشياء التي ذكرتها سابقا يمكن أن يقوم بها كثيرون من المرؤوسين ، وقد تقوم بها النساء أيضا ، ولكن عندما يطلب من شخص أن يقود الكنيسة وتوكل اليه رعاية هذه النفوس الكثيرة ، فإن جميع النساء ، وأكثر الرجال ، يجب أن يتراجعوا أمام عظمة العمل ، حينئذ يتقدم من علت منزلتهم الروحية على الباقين ، وفادت فضائلهم الكثيرين كما كان شاول (٥) يملو كل الشعب العبراني في البنية الجسدية ، بل وأكثر من هذا ، لأن في هذه الحالة لن أتخذ طول القائمة مقياسا بل ليكن الفارق بين الراعي ورعيته بمقدار ما بين الإنسان العاقل والمخوقات غير الناطقة ان لم يزد ، لأن المخاطرة المطلوبة تتصل بأمور لها أهمية عظمى . لأن خطر رعاية غير الناطقين ليس بعظيم ، فإن من أضاع غنمًا سواء بافتراس الذئب أو سرقة اللصوص أو تفشى مرض الطاعون أو أي كارثة أخرى ، ربما يجد نوعا من التساهل من صاحب القطيع . وإن أراد صاحب القطيع تعويضا فإن التمويض هنا يكون ماديا ، ولكن من يؤتمن على بشر هم خراف المسيح الناطقة ، فعليه أولا احتمال عقوبته

ضباع الخراف ، عقوبة تفوق الأمور المادية ، عقوبة تصح حتى نفسه ، وعليه ثانيا أن يخوض صراعا أعظم وأقسى ، لأن مصارحته ليست مع ذئب أو لصوص وليس اهتمامه من أجل حماية القطيع من الوباء . إذن مع من عليه أن يحارب ؟ ومع من يتصارع ؟ استمع لكلمات الرسول بولس : « مصارعنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء ، مع السلاطين ، مع الولاة على ظلمة هذا العالم ، مع أجناد الشر الروحية في السماويات (٦) »

أرأيت جمعا مخيفا من الأعداء ، بجحافلهم المفترسة متسربلين لا بصلب أو فولاذ بل بطبيعة هي في ذاتها تعادل عدة كاملة للحرب ؟ أتريد أن تشاهد جيشا آخر قويا وقاسيا يحاصر هذا القطيع ؟ هذا أيضا تراه بنفس النظرة لأن الذي حذرنا من أولئك الأعداء هو ذاته الذي أوضح لنا هؤلاء الأعداء الآخر ، إذ يقول في موضع آخر : « أعمال الجسد ظاهرة التي هي زنا عهارة نجاسة دعارة عبادة أوثان ، سحر عداوة خصام غيرة غضب شقاق (٧) مذمات نميمات تكبرات تشويشات (٨) . وأشياء غيرها كثيرة .. لأنه لم يحصر قائمة كاملة بل تركنا لنفهم البقية .

(٦) ١ فنس ٦ : ١٢

(٧) غلاطيه ٥ : ١٩ ، ٢٠

(٨) ١ كورنثوس ١٢ : ٢٠

أما في حالة الأوجاع البشرية فإنه : أولا ليس من السهل على الإنسان أن يشخصها . لأنه لا « لا يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه » (٩) فكيف إذن يقدر أي واحد أن يصف علاجاً لمرض لا يعرف طبيعته ؟؟ حتى لو أصبح المرض معروفاً له فإن مهمة العلاج تكون شاقة ، لأنه ليس من السهل على الطبيب أن يعالج الجميع بنفس السلطان الذي يتعامل به الراعي مع غنمه . فقد يحتاج العلاج إلى ربط المريض ، أو منعه من الطعام ، أو استعمال الكي أو المشرط ، كما أن قبول العلاج يتوقف على رغبة المريض لا الطبيب . وهذا ما أدركه الرجل العجيب ( القديس بولس ) عندما قال للكورنثيين « ليس أننا نسود على إيمانكم بل نحن موازرون لسروركم » (١٠) لأن المسيحيين - دون سواهم - لا يسمح لهم أن يعالجوا الخطاة بغير إرادتهم .

إن قضاة العالم عندما يقبضون على فعلة الأثم بسلطة القانون يستعملون سلطاناً عظيماً ، ويمنعونهم من مواصلة شرورهم ولو رغم إرادتهم ، أما في حالتنا فإن الخاطئ يجب أن يصلح لا بالأرغام بل بالاقناع ، لأننا لم نعط بالقانون

(٩) ١ كورنثوس ٢ : ١١

(١٠) ٢ كورنثوس ١ : ٢٤

فوق هذا ففي حالة رعاية المخلوقات غير العاقلة ، نجد أن الذين يريدون اختطاف القطيع واهلاكه ، متى نظروا الحارس هارباً منهم بعيداً يكتفون عن الحرب معه ويكتفون بالاستيلاء على القطيع . ولكن في هذه الحالة ، حتى عندما يسلبون القطيع كله ، لا يتركون الراعي بلا محاربة بل يهاجمونه أكثر ، ولا يكتفون عن مهاجمته حتى يطرحونه أو ينتصر هو عليهم .

أيضاً آلام الفم ظاهرة : إن كانت مجاعة أو وباء أو جراحات أو أي شيء مما يضايقها . وسهولة ظهور الأمراض يساعد كثيراً في علاجها . بل هناك عنصر آخر أبلغ في سرعة علاجها من الأمراض ، وهو أن الرعاة لهم سلطان أن يرغموا الخراف على تقبل العلاج متى رفضته ، لأنه من السهل أن يربطوها إن دعت الحاجة إلى كبتها أو قطع أحد أعضائها ، أو يجبسوها داخل الحظيرة لفترة طويلة إن لزم الأمر ، أو يقدمون إليها نوعاً من الطعام دون الآخر ، أو يمنعون عنها الماء . . . وكل ما يروونه ضرورياً لشفاؤها فإنهم يتممونه بكل سهولة .

سلطانا من هذا النوع لقمع الخطاة ، واذا أعطينا فلا يوجد المجال لنمارس فيه هذه القوة ، طالما ان الله يكفيء الذي يمتنون عن الشر باختيارهم وليس بالاجبار . لهذا كانت المهارة واجبة لكي تقنع مرضانا بقبول الدواء الذي يصفه الأطباء الروحانيون ، وليس هذا فحسب بل ليكونوا شاكرين أيضا لمعالجتهم لأجل نعمة الشفاء ، لأنه ان قام أحد قيود العلاج ( اذ في سلطانه هذا ) فقد صار مرض أفدح . وان لم يلق بالا للكلمات التي تقطع كالسيف فإستهانتة يضيف الى جرحه جرحا آخر ويأتى العلاج بنتائج أسوأ .

### — ٤ —

ماذا على الراعى أن يفعل ؛ لأنك ان تعاملت بلطف من يحتاج الى استعمال البضع بمنف ، ولم تجرح بعلم من تستدعى حالته ذلك ، فكأنك تتسائل جانبا من الالتهاب وتترك الآخر . ومن ناحية أخرى فانك ان قمت بالاستئصال المطلوب بلا شفقة ، فان المريض اذ تقوده آلام الى اليأس ، سوف يهرب دفعة واحدة من كل شيء ، العلاج والاربطة معا ، ملقيا بنفسه الى الهلاك . « يكسر النير ويقطع الربط » (١١)

(١١) راجع ارميا ٥ : ٥

واستطيع ان أخبر عن كثيرين اندفعوا الى شرور أفدح عندما أخذوا العقاب الواجب على خطاياهم . لذلك عند توقيع العقوبة لا يجب علينا أن نقدرها بالنظر الى الخطأ فقط ، بل بالأحرى أن تضع في الاعتبار استمداد الخاطئ ، لئلا وانت ترغب أن تصالح ما تمزق تجعل الخرق أودا ، واذا تعمل بحماس لتقيم الساقط ، تجعل سقطته اعظم . لان الأشخاص الضعفاء والمتهاونين المنفسين في ترف العالم وملذاته ، والذين يملكون أسباب الجاه والتفاخر بالحسب والنسب — متى أخطأوا — يمكن اذا دعوناهم الى التوبة بلطف واناة ان يقلعوا ، ولو جزئيا على الأقل ان لم يكن تماما ، عن خطاياهم التي تسلطت عليهم . أما اذا طبق أحد عليهم القانون دفعة واحدة ، فانه سيحرمهم من هذه الفرصة للشفاء . لأن النفس اذا اضطرت مرة أن تنزع عنها الحياة فانها تتردى في حالة قاسية ، فلا تلين لكلمات رقيقة ولا تخضع لتهديد ، ولا ينجح فيها علاج ، بل تؤول الى حال أودا من تلك المدينة التي وبخها النبي بقوله : « وجبهة امرأة زانية كانت لك ، وأبيت أن تخجلنى من كل الناس » (١٢) .

لذلك فالراعى في حاجة الى التدقيق الكثير ، وأن تكون

(١٢) راجع ارميا ٣ : ٢

له ربوة من العيون ليلاحظ كل نفس على سجيتها . لانه كما ان كثيرين يتعالون غرورا فيسقطون في اليأس من جهة خلاصهم لعدم احتمالهم الادوية الصعبة ، كذلك يوجد آخرون يسقطون في الأهمال من جراء عدم تأديبهم بالعقوبة التي تناسب مع أخطائهم ، ويصرون الى حال أسوأ ، ويتعرضون للسقوط في خطايا أكبر . لذلك ينبغي على الكاهن أن يلاحظ هذه الأمور بدقة ، ويقدم العلاج الذي يراه مناسباً لئلا تضع غيرته هباء . وليس في هذا المجال فقط ، بل نرى أيضا أن الكاهن عليه أن يجاهد كثيرا في ضم أعضاء الكنيسة المفصولين . لأن راعي الخراف يجب أن يتبعه قطيعه حيثما يذهب . فاذا حدث أن انحرف أحدهم عن الطريق المستقيم وتترك المرعى الصالح ليفتدى من الأماكن الوعرة وغير المفلحة ، فإن نداء عاليا كاف لارجاعه . ولكن اذا انحرف انسان عن الايمان الصحيح ، فإن هذا يتطلب الكثير من الجهد والمثابرة والصبر ، لانه لايمكن ارجاعه بالقوة أو منعه بالتخويف بل العمل على عودته الى الحق الذي انحرف عنه بطريق الأفتناع .

لذلك وجب أن يتمتع الراعى بروح عالية ، حتى لايفشل أو ييأس من خلاص التائبين عن الفطيس ، بل يقول في نفسه دائما : « عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق

قيستغيقوا من فح ايليس » (١٢) لذلك لما خاطب الرب تلاميذه قال لهم : « من هو العبد الامين » (١٤) لأن من يصلح ذاته فقط فانه يقتصر على منفعة نفسه ، بينما تمتد الرعاية لتشمل الشعب كله . ومن يوزع المال على المحتاجين أو ينصف المظلومين فانه يفيد الآخرين الى حد ما ، وهذا عمل العلماني ، ولكن عمل الكاهن يسمو عنه بمقدار سمو الروح عن الجسد ، لذلك ما اصدق قول الرب ان الغيرة على القطيع هي علاقة المحبة لشخصه !

ولكن انت ... الا تحب المسيح ؟

**ذهبي الفم :** نعم انى احبه ، وسوف لا اكف عن حبه ، لكنى اخشى ان اغضب من احب !

**باسيليوس :** ان كلامك هذا لفر كبير ، فالمسيح يطلب ممن يحبه ان يرعى خرافه ومع هذا فانت تتجنب رعايتهم رغم أنك تحب من اعطى هذا الأمر ...

**ذهبي الفم :** ان كلامى ليس لفسزا ولكنه واضح جدا وبسيط ، لاننى لو كنت مؤهلا تماما لاداء هذه الخدمة كما

(١٢) تيموثاوس ٢ : ٢٥

(١٤) متى ٢٤ : ٤٥

يريدنا المسيح ثم تهربت ، لكان كلامى موضع شك . ولكن طالما ان ضعفى يجعلنى غير نافع لهذه الخدمة فلماذا يكون كرمى محلا للتساؤل ؟ لانى أخشى اننى اذا تسلمت رعية المسيح وهى فى تمام النمو والشبع ثم لعدم كفاءتى اهلكتها ، فانى أجلب على نفسى غضب الله الذى احب القطيع وأسلم نفسه لخلاصه وفدائه .

**باسيليوس** : ان هذه الكلمات تحزننى ، لانىك لو كنت قد تخليت عن الخدمة لاحساسك بعدم كفاءتك ، فانى أحوج منك ان اتخلى عنها ... لانىك عشت معى واختبرتني عن قرب ، فكيف انسقت وراء الراى العام والقيت بى الى هاا الخطر الكبير ؟؟

**ذهبي الفم** : ان مثل هذه الامور تقتضى التحرى الكامل ، ومن يرشح احدا للكهنة ينبغى الا يقنع بالراى العام ، ولكن يجب عليه فوق كل شئ وقبل كل شئ ان يختبر اخلاق الرجل . فعندما قال الرسول بولس : « يجب ايضا ان تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج » (١٥) لم يغفل أهمية الفحص الدقيق ... ولكن بعد حديث طويل

ذكر هذه الشهادة ، مبرهنا ان الانسان لايقنع بها بمفردها فى مثل هذا الاختيار ، بل تؤخذ فى الاعتبار مع غيرها ، لأن الراى العام غالبا لا يعبر عن الحقيقة ولكن اذا سبقه الفحص الدقيق فلا يأتى بضرر .

**باسيليوس** : ان هذا كلام يدينك ، لانىك سمعت منى كثيرا عن ضعفى وجبنى امام الهموم العادية .

- ٥ -

**ذهبي الفم** : اذكر حقيقة انى كنت اسمع منك مثل هذا الكلام ولست أنكره ... ولكنى سأبرهن لك انك قلت هذه الاشياء من قبيل انكار الذات ، وليس توخيا للحقيقة ... والآن اقدم لك سؤالا : تعلم مقدار عظمة المحبة وقوتها ؟ لانه رغم كل المعجزات التى كان فى مقدور الرسل ان يصنعوها ، قال المسيح : « بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذى ان كان لكم حب بعض لبعض » (١٦) وقال بولس : « المحبة هى تكميل الناموس » (١٧) وأنه فى فقدانها لا فائدة فى اى عطية روحية ، ولان هذا هو النصيب الصالح (١٨) ، والعلامة المميزة لتلاميذ المسيح ، والعطية التى تسمو عن

(١٧) رومية ١٢ : ١٠

(١٦) يوحنا ١٣ : ٣٥

(١٨) أى ان اختيار الكهنة هو بدافع محبة المسيح « اتحنى ..

كل العطايا الأخرى .. وهذا ما أدركته أنه مفروس في  
روحك بمحق

- ٦ -

**ملخص :** ولما ادعى باسيليوس انه لم يبلغ الى تحقيق نصف ماتطلبه وصية المحبة ، وبالتالي لا يستحق أن يزكى للكهنوت ، ذكره ذهبي الفم بحادثة قديمة وجد فيها باسيليوس نفسه أمام زميل له اتهم زورا ، فلم يجد باسيليوس بدا من أن يضحى بنفسه لكي ينقذه ، منفذا وصية الرب « ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه » (١٩)

- ٧ -

**ملخص :** ينفي ذهبي الفم عن نفسه تهمة انه اهان ناخبه بامتناعه عن الكهنوت ، لأنه لا يليق بأى انسان أن يهين من أرادوا أن يكرموه .

- ٨ -

**ملخص :** ثم يقول انه ، على النقيض ، قد اعتقهم من لوم الآخرين لهم اذا أوكلوا هذه المهام العظيمة لشباب جاهل مثله ...

الكتاب الثالث



١ - الذين ظنوا انى تجنبت هذه الخدمة بسبب الكبرياء  
يسيئون الى سمعتهم .

٢ - لم اتجنّب الكهنوت بسبب المجد الباطل .

٣ - لو كنت قد تطلعت الى المجد لاخترت بالاحرى هذا العمل

٤ - الكهنوت امر رهيب ، والخدمة فيه في العهد الجديد  
اكثر رهبة منه في العهد القديم .

٥ - سلطان الكهنوت الكبير وكرامته .

٦ - الرتب الكهنوتية بين عطايا الله العظمى .

٧ - حتى بولس امتلا بالخوف عندما تأمل عظمة الخدمة !

٨ - من يدخله ( الكهنوت ) يسقط غالبا في فخ الخطية  
الا اذا كان له العقل الراجح .

٩ - انه يسقط في المجد الباطل وتماره الشررة .

١٠ - ليس الكهنوت هو السبب في هذه الشرور ولكنه  
ضعفنا نحن .

١١ - ان شهوة الرياسة ينبغي ان تنزع من نفس الكاهن

١٢ - ينبغي ان يكون الكاهن حكيما جدا .

١٣ - الى جانب الاحتمال الكبير هناك اشياء اخرى  
يجب توفرها في نفس الكاهن .

١٤ - لاشيء يشوب نقاوة الفكر ويقظته اكثر من الغضب  
الاهوج .

١٥ - ذهبى الفم يشير الى صورة اخرى من الجهاد  
المملوء بالمخاطر .

١٦ - كم يجب ان يكون عظيما ، من عليه ان يواجه مثل  
هذه العواصف !

١٧ - ما اكثر المخاوف في امر تدبير امدارى !

- ١ -

**ملخص :** يتعجب ذهبى الفم كيف يتهمه الناس بالفرور  
لانه هرب من الكهنوت ، لان هذا الاتهام يدل على عدم  
تقديرهم الكافي لهذه الكرامة العظيمة . لان الفرور لا يهرب  
من هذا العمل الا اذا كان ينظر اليه باحتقار . وهذا  
يسىء اليهم هم . . فلو لم تكن نظرتهم للكهنوت مثل نظرتهم  
الى اى عمل عادى ، لما خطر ببالهم ان يلصقوا به هذه  
التهمة .

- ٢ -

**ملخص :** يتابع ذهبى الفم دفاعه بقوله انه لو سسمى  
للسهرة لقل الكهنوت ، حيث يرى الكل انهم فضلوه على  
كثيرين من الذين لهم جهادهم في الخدمة ، في حين انه  
- كما يقول هو عن نفسه - شاب حديث السن ، لم  
يتخلص من اغراءات العالم الا من وقت قصير .

- ٣ -

**ملخص :** ثم يقول ان هؤلاء لو عرفوا حقيقة الكهنوت  
ومدى المسئولية الرهيبه بالنسبة للمرشح او الناخبين لما  
اتهموه بالفرور ولا بالمجد الباطل .

فانت عندما ترى الرب ذبيحا وموضوعا فوق المذبح ،  
والكاهن واقفا يصلى على الذبيحة ، وكل المصلين مصطبغون  
بذلك الدم الثمين ، أتستطيع أن تقول انك لازالت بين  
الناس ، وانك واقف على الأرض ؟! الـت - على النقيض -  
قد انتقلت مباشرة الى السماء ، وطرحت عنك كل الأفكار  
الجسدية ؟! الـت بروح متحررة من الجسد ، وبفكر  
نقى تتأمل الأشياء التى فى السماء ؟! آه ! ما هذا العجب ،  
وما مقدار حب الله للانسان ؟! ان الساكن فى الاعالى مع  
الاب هو فى هذه الساعة فى تناول الكل ، يعطى ذاته لمن  
يريدون أن يحتووه ويمسكوا به . وكل هذا يتم بعين  
الايمان . هل ترى أن هذه الأشياء يمكن أن تحتقر ؟ أو  
يمكن لأى أحد أن يتشامخ عليها ؟!

أتريد أن تعرف ، من معجزة أخرى - عظم قدسية هذه  
الرتبة ؟ تصور ايليا والجمع الفقير واقف حوله ، والذبيحة  
موضوعة على مذبح الحجارة ، وبقية الشعب قد صمتوا  
صمتا عميقا ، بينما النبى وحده يرفع الصلاة ، ثم نزول  
النار فجأة من السماء على الذبيحة : انها أمور عجيبة تمت  
فى رعب !!

والآن فلنتجاوز هذا المنظر الى الطقوس الحالية ، انها  
ليست عجيبة للنظر فحسب ولكنها أكثر رهبة . حيث  
يقف الكاهن لا لينزل نارا من السماء بل الروح القدس .

- ٤ -

ان نعمة الكهنوت ، وان كانت فى الحقيقة تعطى على  
الأرض ، ولكنها تعد بين الرتب السماوية . وهذا أمر  
طبيعى ، لانه لا انسان ، ولا ملاك ، ولا رئيس ملائكة ، ولا  
أى خليفة أخرى ، بل الباراقليط نفسه هو الذى أسس  
هذه الدعوة ، وجث البشر ، وهم بعد فى الجسد أن  
يقوموا بخدمة الملائكة !! لذلك ينبغى على الكاهن الذى  
يقدر أن يكون طاهرا ، كما او كان واقفا فى السموات  
عينها فى وسط تلك القوات .

انها لمخيفة حقا ، ومغزاها رهيب للغاية هى هذه الأشياء  
التى كانت تستعمل قبل عهد النعمة ، مثل الأجراس  
والرمانات والأحجار على الصدر وعلى الأفود . ثوب كهنة  
اليهود ( والمنطقة والتاج والرداء الطويل وقسط الذهب  
وقدس الأقداس والسكون العميق فى داخله (١) .

ولكن اذا فحصنا الأشياء المختصة بعهد نعمة سوف  
نجد أنها ، وان كانت قليلة ، ولكنها مخيبة ورهيبة حقا  
أكثر من مجد التاموس كما قيل « فان المجد أيضا لم يمجد  
من هذا القبيل لسبب المجد ذاته » (٢)

وهو يقدم طلبات طويلة لا ليأتي لهيب من فوق ليلتهم  
القرابين ، ولكن لكي تضيء النعمة النازلة على الديبحة نفوس  
الجميع أيضا فيتالقون أكثر من الفضة المصفاة بالنار .  
من يجرؤ أن يحتقر هذا السر الكلى الرهبة الا اذا كان  
مجنوناً وأحمق !!

أولا تعلم ان احدا من البشر لا يستطيع ان يتحمل هذه  
النار في الديبحة !!؟ فلو لم تكن مساندة نعمة الله عظيمة  
لفنى الكل !!

- ٥ -

لانه لو أدرك أى شخص كم هو أمر جسيم ان يتمكن  
شخص ، حال كونه انسانا ومحصورا في اللحم والدم ،  
ان يقترب الى هذه الطبيعة المباركة الظاهرة ، فانه حينئذ  
سوف يرى بوضوح ماهى الكرامة العظيمة التى تمنحها  
نعمة الروح للكهنة ، اذ بواسطتهم تقام هذه الطقوس  
وغيرها ، التى لاتقل عنها بأى حال فيما يختص بمجدنا  
وخلصنا .

فان الذين يسكنون الأرض ، ويقبضون فيها ، يُرتمنون  
على خدمة الامور السماوية وياخذون سلطانا لم يعطه الله  
للملائكة ولا لرؤساء الملائكة !! لانه لم يخاطب احدا منهم

بالقول « كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء .  
وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء » (١) .

ان حكام الأرض لهم فى الحقيقة سلطان ليربطوا ولكن  
الجسد فقط . فى حين ان هذا الربط يقع على الروح  
ويخترق السموات . وما يفعله الكهنة هنا على الأرض  
يصادق عليه الله من فوق ، وما ينطق به العبيد يؤيده  
السيد !! لانه فى الحقيقة سلطان سماوى لاشك ، ذلك  
الذى اعطاه الله لهم عندما قال : ( من غفرتم خطاياهم تغفر  
له . ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت ) (٢) . أى سلطان  
يمكن ان يكون أعظم من هذا !!؟ « الأب ... قد اعطى  
كل الدينونة للابن » (٣) ولكنى اراها كلها بين يدي هؤلاء  
الرجال بواسطة الابن ، لانهم يؤهلون الى هذه الكرامة  
كما لو كانوا قد انتقلوا الى السماء ، وارتفعوا فوق الطبيعة  
البشرية ، وتحرروا من الاوجاع التى نحن عرضة لها .

زد على هذا ، اذا منح ملك هذه الكرامة لواحد من  
رعاياه ، معطيا اياه سلطانا ليلقى فى السجن من يشاء ويطلق

(١) متى ١٨ : ١٨

(٢) يوحنا ٢٠ : ٢٣

(٣) يوحنا ٥ : ٢٢

سراج من يشاء ، فإنه يصبح موضع حسد واحترام لجميع الناس ، أما الذى أخذ من الله سلطانا عظيما بمقدار ماتسمو السماء عن الأرض ، والروح عن الجسد ، فإنه يبدو للبعض أنهم أخذوا كرامة ضئيلة حتى أنهم يمكن أن يتصوروا أن واحدا من الذين أوتمنوا على هذه الأمور يحتقر هذه العطية !! دعنا من جنون كهذا ! لأنه جنون واضح أن نحترق هذه الكرامة العظيمة . إذ بدونها لا يمكن أن نحصل على خلاصنا ولا على الأشياء الصالحة التى وعدنا بها الله . لأنه إذا كان أحد لا يمكنه أن يدخل ملكوت السموات دون أن يولد من الماء والروح ، ومن لا يأكل من جسد الرب ويشرب دمه يحرم من الحياة الأبدية ، وإذا كانت هذه الأمور تتم فقط عن طريق هذه الأيدي المقدسة ، أعنى أيدي الكاهن ، فكيف يمكن لأى إنسان - بدون هذه الأمور - أن يهرب من نار الجحيم أو يريح هذه الأكاليل المعدة للفائزين !!

- ٦ -

هؤلاء هم الذين بالحقيقة أوتمنوا على الآم المخاض الروحى ، والميلاد الذى يجرى بالعمودية . اننا بواسطتهم نلبس المسيح ، وندفن مع ابن الله ونصير أعضاء فى ذلك الرأس المقدس . فلا ينبغي أن نهاهم أكثر من الحكام والملوك فحسب ، بل نكرمهم أيضا أكثر من الوالدين . لأن

هؤلاء ولدونا من دم ومن مشيئة الجسد ، أما أولئك فهم وسيلة ميلادنا من الله ، ذلك الميلاد الثانى الذى هو الحرية الحقيقية والبنوة بالنعمة .

ولقد كان للكهنة اليهود السلطان أن يشفوا الجسد من البرص ، أو بالحرى لا يشفوها بل فقط يفحصون الذين تعاهروا . وانت تعلم كم كانت وظيفة الكاهن موضوع منافسة فى ذلك الوقت . أما كهنتنا فقد أخذوا سلطانا ليس على برص الجسد بل على نجاسة الروح لا ليعلموا أنها طهرت بعد فحصها بل لينزعوها بالفعل . لذلك فالذين يحتقرون هؤلاء الكهنة يستوجبون اللعنة أكثر من دانان وجماعته ، ويستحقون عقابا أشد قساسة . لأن أولئك رغم أنهم نسبوا لأنفسهم كرامة ليست لهم ، إلا أنهم كانوا ينظرون إليه ( الكهنوت ) نظرة سامية . وقد برهنوا على ذلك بهذا الإشتياق الشديد الذى سعوا به إليه . . .

أعود مرة أخرى الى النقطة التى بدأت منها : لقد منح الله للكهنة قوة أعظم من التى لوالدينا الجسديين ، فالفرق بينهما فى الواقع كبير كالفرق بين الحياة الحاضرة والحياة المستقبلية . لأن والدينا الجسديين ولدونا لهذه الحياة فقط ، أما أولئك فلتلك الحياة الآتية . الأولون ليس فى مقدورهم أن يمتنوا الموت عن أولادهم ، أو يصدوا عنهم هجمات المرض ، أما الكهنة فكثيرا ماخلصوا نفسا طيلة

أو انسانا على حافة الهلاك . يقعون على البعض عقابا شديدا ، ويمنعون الآخرين من السقوط . ليس فقط بالتعليم والارشاد ولكن أيضا بمعونة صلواتهم . لأن سلطان غفران الخطايا ليس فقط ساعة الميلاد الثاني ، بل أيضا بعد ذلك لهم هذا السلطان فقد قيل « أمرض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب ، وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه ، وأن كان قد فعل خطية تغفر له » (١) .

كذلك نجد أن الآباء الجسديين ، إذا حدث خلاف بين اولادهم وبين أحد من ذوي الرتب العالية في العالم ، فلا يستطيعون أن يفعلوا لهم شيئا ، أما الكهنة فانهم يصلحونهم ، ليس مع الحكام والملوك بل مع الله نفسه عندما يحل غضبه عليهم .

### - V -

لم يحب أحد المسيح كما احبه بولس ، ولا اظهر احد غيرة اعظم منه ، ولا حسب أحد مستحقا لنعمه اكثر منه . ورغم كل هذه الامتيازات لا يزال يتخوف ويرتعب أمام هذه المسئولية . انه يقول : « أخاف أنه كما خدعت الحياة

(١) ياقوب ٥ : ١٤ ، ١٥

حواء بمكرها هكذا تفسد اذهانكم عن البساطة التي في المسيح » (١) . وأيضا : « أنا كنت عندكم في خوف ورعدة كثيرة » (٢) . وهو الرجل الذي اختطف الى السماء الثالثة ، وصار شريكا لأسرار الله التي لا ينطق بها (٣) ، وتحمل ميئات كثيرة بعدد أيامه التي عاشها بعد أن آمن . وهو الرجل الذي لم يستعمل السلطان المعطى له من المسيح ، لئلا ينقل على أحد من الذين آمنوا على يديه (٤) . فإذا كان هذا الذي عمل بأكثر من وصايا الله ، ولم يطلب أبدا نفعه الشخصي بل نفع الذين يراعاهم ، كان دائما هكذا مملوءا بالخوف عندما تأمل جسامه المسئولية ، فكيف يكون حالنا نحن الذين نسعى بشتى الطرق لنفعل انفسنا؟! . الذين لم نفشل في أن نساك بأكثر من وصايا المسيح فحسب ، بل غالبا ماتعدى الكثير منها!! انه يقول : « من يضعف وأنا لا أضعف ، من بعثر وأنا لا التهب » (٥) ؟!

هكذا يجب أن يكون الكاهن ! وليس هكذا فقط ، لأن

(١) ٢ كورنثوس ١١ : ٣

(٢) ٢ كورنثوس ٢ : ٣

(٣) ٢ كورنثوس ١٢ : ٤

(٤) ٢ كورنثوس ١١ : ٩ ، ١ سالونيكي ٢ : ٩

(٥) ٢ كورنثوس ١١ : ٢٩

ولسكن في هاوية النار ، والموت الذى ينتظرها ليس هو  
انفصال الروح ولكنه الهلاك الأبدى ، فهل تفضب على لانى  
لم ألق بنفسى في شر عظيم كهذا !!

### - ٨ -

من أجل هذا أتوسل اليك أن تتركنى وشانى ، فانى  
أدري بضعف نفسى وحقارتها ، وأدرك مقدار عظمة هذه  
الخدمة ومشقة العمل ... فالرياح التى تعصف بنفسى  
الكاهن هى أشد من الأنواء التى تهيج البحر .

### - ٩ -

**ملخص :** وأول هذه المصاعب هى صخرة المجد الباطل  
الخطيرة ، التى تعيش فيها حيوانات مفترسة كثيرة ، قادرة  
على أن تمزق حياة الانسان يوما بعد يوم . هذه الحيوانات  
المفترسة التى تتربى على المجد الباطل هى الغضب ،  
والياس ، والحسد ، والخصام ، والنميمة ، والادانة ،  
والكذب ، والرياء ، والدسيسة ، والغضب دون وجه حق ،  
والفرح بأخطاء الزملاء ، والحزن لنجاحهم ، وحب المديح ،  
وشهوة الكرامة التى ( فى الواقع أكثر من غيرها ) تقود  
النفس البشرية للهلاك ، والفتاوى الفاشة لارضاء النزوات ،  
واحتقار الفقراء ، وتملق الأغنياء وخوف العبيد ، والبعد  
عن صراحة الرأى ، وسجافاة الحق ، والاتضاع المصطنع ،

هذه أمور بسيطة اذا قورنت بما سأقوله ... انه يقول :  
« كنت أود أن أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل  
اخوتى ، انسائى حسب الجسد » (١) . اذا تجاسر أحد  
أن ينطق بهذا الكلام ... فانه يلام بحق اذا شرع فى  
الهروب ، أما اذا كان أحد ينقصه هذا السمو مثلى ، فانه  
يستحق الكراهية ليس اذا تجنب هذه الخدمة بل اذا  
قبلها .

لانه اذا كنا بصدد اختيار انسان لرتبة حربية ، والذين  
لهم حق الترشيح يرشحون نحاسا أو صانع أحذية أو  
واحدا من ذوى مثل هذه الحرف، ويضمون الجيش بين يديه،  
فانى لا ألوم هذا الانسان البائس اذا أخذ فى الهروب ،  
وعمل كل ما فى وسعه لكى يتجنب هذا الارتباك العظيم ..

فوق هذا ، اذا كلفت بقيادة سفينة تجارية بها بحارة  
كثيرون ، ومحملة بالبضائع الغالية ... فانى سوف أرفض  
هذا العرض فورا ... وذلك لئلا أفرق السفينة . إذن  
اذا كانت الخسارة مادية ، والخطر يمتد فقط الى الموت  
الجسدى ، فلا يلوم أحد هؤلاء الذين يتصرفون بحكمة ،  
ولكن ان كانت السفينة فى طريقها الى السقوط، ليس فى المحيط

والامتناع من التبكيك والتوبيخ ، أو بالحرى استعمالهما بشدة مع الفقراء في حين السكوت الكلى مع ذوى السلطان ... كل هذه الوحوش وغيرها ترعى فوق صخرة حب المديح ، وويل لمن يسقط فيها فانه يستعبد لها حتى يفعل مايليق (١) .

- ١٠ -

هل الكهنوت مسئول عن هذه الشرور ؟ ان مثل هذا القول جنون !! فالرجل الحكيم لايتهم السيف بالقتل ، ولا الخمر بالسكر ، ولا القوة بالاغتصاب ، ولا الشجاعة بالتهور ، ولكن يلوم الذين يستخدمون مواهب الله استخداما سيئا فيجلبون على انفسهم عقاب الله .

ان الكهنوت بكل تأكيد سوف يديننا ان لم نحسن استخدامه . فليس الكهنوت سببا في تلك الشرور ، ولكننا نحن الذين ندنسه ونحقر من شأنه حين نعطي له لا يستحقونه ، أو للذين يقلبونه سريعا دون أن يفحصوا ذواتهم ويدركوا جسامه هذه الرتبة ...

(١) أسهب ذهبي الغم في وصف سلطة النساء وتدخلهن في الخدمة وقد عانى هو نفسه كثيرا من اودوكسيا زوجة الامبراطور اركادوروس .

ترى من أين نشأت هذه المتاعب الكثيرة في الكنائس ؟ انى اعتقد أن المصدر الوحيد لها هو الطريقة العشوائية في اختيار الرعاة ، فالرأس يجب أن يكون أكثر اعضاء الجسم قوة حتى يضبط النزوات الشريرة التى تصدر من سائر اعضاء الجسد . ولكن اذا كان الرأس نفسه ضعيفا ، وعاجزا عن صد الهجمات الوبائية ، فانه يزداد ضعفا فوق ضعف ، وبهلاكه يهلك الجسد كله ...

وهناك صفات أخرى كثيرة يجب أن يتحلى بها الكاهن . فقبل كل شيء يجب أن يطهر نفسه تماما من شهوة الحصول على هذه الرتبة . لانه اذا حدث أن اشتهى هذه الكرامة ، فانه حالما يصل اليها فان شهوة حب الكرامة تزداد اضطراما ، حتى اذا استعبد لها فانه يتردى في شرور كثيرة مثل التملق والمداهنة ، ويخضع لأمور ذئبية ... وهذا هو سبب المذابح التى عمت الكنائس ، والخسراب الذى حل بالمدن ، بسبب التشاحن على الرئاسة .

- ١١ -

ولا يظن أحد انى اعارض القديس بولس الرسول حين يقول : « ان ابتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملا صالحا » (١ : ٣) . فانى لا اقول ان اشتهاه الأسقفية امر ردىء ، ولكن الردىء هو رغبة التسلط وحب الرئاسة .

الحقيقة هو حال من يتسبب أقرانه في تنحيته اما بمامل  
الحسد ، أو مجاملة لآخر ، أو بسبب الحقد ، أو لدافع  
شرير آخر - ولكن متى كانت هذه التنحية من الخصوم  
فلمست في حاجة الى اقامة البرهان على ما يناله من فائدة  
بسبب شرهم .

يليق بنا اذن ان تكون على حذر من كل جهة وان نحترس  
حتى لا تتسرب سراى شرارة من نار هذه الشهوة - شهوة  
رئاسة الكهنوت - ومن كان متحررا أصلا من هذه الشهوة  
ينبغي أن يبقى على تحرره منها بعد وضع اليد عليه . اما  
من كان احد قد اقتنى بداخله هذا الوحش المفترس  
وحش شهوة الرئاسة - قبل ان يصل الى هذه الكرامة  
فانه بعد رسامته يزوج بنفسه في جحيم داخلي يصعب  
صفه . ولان هذه الشهوة قد استولت على بدرجة كبيرة ،  
لخوفى منها ومن غيرها ، فقد أسرعت الى الفرار . لانه  
لما أن الحب كلما اقترب من محبوبته ازداد وله وعذابه  
ينما متى بعدت عنه خمد هيامه ، هكذا الحال لمن يروم  
سلطان الكهنوت فانه كلما سعى اليه ازداد شر هذه الشهوة  
الى درجة غير محتملة ، ومتى كف عن السعى وراءه فان  
الرغبة فيه تخبو وتنطفئ .

فهذه الشهوة هي التي ينبغي أن يرتفع الانسان عن  
مستواها ، ويظهر نفسه منها تماما ، والا يسمح لها من  
البداية أن تتسلط عليه حتى يكون حرا في تصرفاته . ومن  
لا يشتفى سلطان هذه الخدمة فانه لا يخشى حرمانه منها ،  
وهكذا يستطيع أن يتصرف في كل شيء بحرية مجد أولاد  
الله . اما الذين يرتعدون خوفا من أن يعزلوا من الكهنوت ،  
فهم يقاسون عبودية مرة تجرهم الى شرور كثيرة ، وتقودهم  
غالبا الى ما يغضب الله والناس .

لهذا ينبغي الاتق النفس في مثل هذه الامور . . وكما  
انه في الحروب ترى الجنود الشجعان يحاربون في اصرار  
ويستشهدون في شجاعة هكذا يجدر بمن نال هذه الخدمة  
أن يكرس حياته من أجلها أو يتنحى عنها كما يحق  
للمسيحي ، علما أن التنحى لا يقل في مجازاته عن الوفاء  
بالخدمة . لانه متى تعرض كاهن لمثل هذا الموقف ويتنحى  
لكى يتجنب الخضوع لامر لا يليق بكرامة هذه الخدمة فانه  
بتنحية يعاقب مقاوميه عقابا شديدا ، كما انه ينال هو  
اجرا عظيما . . لان الكتاب يقول : « طوبى لكم اذا طردوكم  
وعيروكم وقالوا فيكم كل شر من أجلى كاذبين . افرحوا  
وتهللوا لان اجركم عظيم فى السموات » (١) . ان هذا فى



- ١٢ -

فلا يمكن الاستخفاف بهذه الشهوة ، فهي وحدها قد تنكح لامتناهى عن قبول هذه الرتبة . ومع هذا فهناك شهوة أخرى لا تقل عنها . فما عسى ان تكون هذه الشهوة ؟ ينبغي أن يكون الكاهن سديد الراى عميق الافراز ، يمتد بصبر الثاقب الى كل جهة ، لكونه مسئولاً - لا عن نفسه فحسب - بل عن نفوس كثيرة . أما أنا فكسول ومتردد وبالجهد أستطيع أن أخلص نفسى ، ولعلك تقر بهذا . كنت لمحببتك تستر نقائصى . دعك من الحديث عن الأمور المختصة بالصوم والسهرة والنوم على الأرض والتدريب الجسدية القاسية الأخرى ، فأنت تعلم مدى تقصيرى فيها . . . وحتى ان كنت قد مارست هذه الفضائل واقتنتها ، فهى لن تنفعنى فى ممارسة هذه الوظيفة وذلك لفسادى وتهاونى الحالى ، لأن هذه الفضائل قد تنفع انساناً يعيش فى قلاية ولا يهتم الا بخلاص نفسه . . . وأما بالنسبة الى رجل تقدم ليحمل مسئوليات شعب كبير ويعنى بشخص فيه عناية فردية ، فكيف يعمل على نموهم ان يكن هو على درجة عالية من قوة الإرادة وصلابة العزيمة

- ١٣ -

وليس بغريب أن أضيف الى ما ذكرت لونا آخر من قدرة النفس على الجلد والمثابرة . فقد يكون الحرمان من الطعام والشراب والفراش الوثير أمراً مقدوراً عليه عند الناس كثيرين وخاصة بالنسبة لمن تعودوا شظف الحياة ونشأوا عليها منذ نعومة أظفارهم ، بل وعند كثيرين غيرهم . . . فان ممارسة هذه التدريبات والتعود عليها يجعل منها أموراً هينة . أما احتمال الشتائم ، والاهانات ، والألفاظ الجارحة ، والكلمات النابية ، والتعابير الباطلة من الأدبيات ، والتعنيف الذى يطلق جزافاً سواء من الحكام أو المحكومين . . . كل هذه الأشياء لا يقدر كثيرون على احتمالها

وقد يكتسب البعض قدرة على احتمال التدريبات الجسدية التى أسلفنا ذكرها ، لكنهم يضعفون أمام الأمور الأخرى ، فيصبحون أكثر وحشية من الحيوانات الضارية . مثال هؤلاء على وجه الخصوص ينبغى أن نقصصهم عن رتب الكهنوت . لأنه ان كان الكاهن غير ناسك أو زاهد ، فإنه لن يفيد الكنيسة كثيراً ، أما سرعة الانفعال والغضب فهى تؤذى نفس صاحبها والذين يعاشرهم على السواء . . . والله لم يتوعد الذين لا يصومون ولا الذين لا يزهدون ، بينما أنزل الويلات على من يفضبون باطلا وتوعدهم بالحكم ونار جهنم ( متى ٥ : ٢٢ ) . . . وكما أن من يحب المديح

الباطل يضيف وقودا الى نار جهنم بقدر عدد الانفس التي صار رئيسا عليها ، هكذا الذي لا يستطيع ان يتحكم غضبه او يمسك نفسه في حوار مع الناس بل ينقاد وانفعالاته ، كيف يكون حاله اذا اؤتمن على رعاية قطيع وهو كالوحش المفترس الذي يستثيره الناس لآى سبب لن يعيش مثل هذا في سلام ، فضلا عن انه يصيب النفوس التي اؤتمن على رعايتها بالأذى .

- ١٤ -

فليس هناك ما يعكر صفو الفكر أكثر من الغضب والاندفاع بلا ترو ، ذلك لأن الكلام الموجه يهيج السخف ( أمثال ١٥ : ١ ) فتصاب النفس بالظلام ، فلا تميز العدو والصديق ، أو بين الصالح والظالم ، فالكل أمامها سواء . وهى تحتل كل ما يقابلها من شر وأذى حتى تكو شهوة الغضب .. لأن الغضب شهوة تطفى على النفس فتقلب جميع موازينها وتشوش كل أفكارها .. وهو يد صاحبه الى الفرور والكبرياء ومعاداة الناس وكراهية الغير ما سبب ، كما يحمله على التصرفات الطائشة وتوجيه الاساءة الى الغير وأشياء أخرى كثيرة مماثلة . لأن النفس تكون قد انزلت وراء حمو الغضب حتى لم تعد هناك ضوابط تكبح جماحها .

**باسيليوس** : لم أصد احتمال منك أكثر من هذا التهمك لأنه لا يخفى على احد أنك قد تساميت فوق هذه النقائص .

**ذهبي الفهم** : أتريد أن تدفعنى الى هذه النار وأن تثير الوحش المفترس (١) الذى لا زال هادئا ؟ ألا تعلم أنى لم افتن هذه العادات عن فضيلة فى نفسى بل من اعترالى وحبى للانفراد ؟ فمن كانت هذه الحال حاله فالأفضل له أن يقنع بوحده أو مصاحبة صديق أو اثنين ، حتى ينجو من نار الغضب التى لا يستطيع أن يتجنبها ان انغمس فى كل هذه الاهتمامات .. فهو حينئذ لا يجسر نفسه وحدها بل آخرين كثيرين الى حافة الهلاك ويبعدهم عن جادة الصواب . لأنه من شأن الرعية التشبه بالرعى والتمثل به ومحركاته فى تصرفاته . فكيف يمكن للرعى ان يوقف غضب الرعية ان كان هو يشتعل بنار الغضب ؟ . ومن من الرعية يمكن ان يكون وديعا وهو يرى الرعى سريع التهيج ؟ .. فنقائص الرعاة يصعب اخفاؤها ، بل حتى البسيط منها يظهر بوضوح . فالمجاهد مادام معتكفا بداره لا ينافس ولا يصارع احدا ، فان احدا لا يهتم بنقائصه مهما عظمت ، لكن اذا نزل الى حلبة المصارعة انكشف حاله وافتضح امره . هكذا

(١) أى شهوة حب الرئاسة

الذين يعيشون في هولة فإن وحدتهم تكون فيها يوجب  
 عيوبهم حتى اذا ظهروا في الحياة العامة وخلصوا ثوب  
 الوحدة الذي كان يسترهم فان نقائصهم تظهر في الجلال  
 وتتكشف نفوسهم . وكما أن فضائل كثيرين أفادت غيرهم  
 وحولتهم الى مجاهدين يتشبهون بهذه الفضائل ، هكذا  
 مناقص البعض قد تدفع المتراخين الى اتيان ما هو ليس  
 من الفضيلة ، والى التراخي في عمل الخير . من اجل هذا  
 ينبغي أن تشع نفس الرؤساء بالضيء في كل جانب ، لكي  
 يحل السلام والمرة في نفوس المستضيئين بهم . فهفوات  
 الرجل العادي حين تعمل في الظلام تهلك صاحبها فقط  
 وضررها لا يتعداه ، واما زلة الشخص المعروف لدى الجميع  
 فان ضررها يصيب الكثيرين ، فيتمادي الساقطون في شرهم ،  
 ويبأس الساعون نحو التوبة . وفضلا عن هذا فان أخطاء  
 غير المعروفين حتى لو انكشفت فلا تؤثر في احد .. أما  
 الذين يشغلون مراكز ظاهرة فلأنهم على مرأى من الجميع  
 فأخطاؤهم لها أثر كبير مهما هان أمرها ، ذلك لأن الناس  
 يحكمون على الخطية ليس بمقدارها بل بمنزلة مرتكبها .  
 لهذا ينبغي أن يتحصن الكاهن تماما بسلاح متين من اليقظة  
 والمراقبة الدائمة لاسلوب حياته ، حتى لا يجد فيه الراصد  
 موضعا ضعيفا يطعنه فيه طعنة قاتلة . لأن جميع المحيطين  
 به ينتهزون فرصة لطمعه واسقاطه ، ليس أعداؤه ومنافسوه  
 فحسب ، بل حتى كثيرون ممن يدعون صداقته .

لهذا ينبغي أن يلبس الكهنة قوة من الله ، كأولئك الفتيحة  
 القديسين الذين القوا في آتون النار في بابل ( دانيال ٣ ) .  
 لأن الكهنة لا يقون في نار وقودها من حطب او قار بل ماهو  
 امر واقسى .. فهم لا يتعرضون لنيران مادية بل يحاصروهم  
 لهيب الحسد من كل جانب ، معرضا حياتهم لاختبارات  
 اشد قسوة من نيران آتون الفتية الثلاث ... فبقدر مايدبر  
 الكاهن حياته تديبرا حسنا في كل مجال ، فانه يكون بعيدا  
 عن المكائد . أما ان تهاون في امر قد يبدو تافها ( بما أنه  
 انسان في هذا العالم الكثير الأخطار ) فلن تعفيه فضائله  
 واعماله الطيبة الأخرى من السنة الناقدين ، بل ان هذه  
 الهفوة الصغيرة تطفئ على كل ما سواها . فكل الناس  
 يتأهبون للحكم على الكاهن ، ليس باعتباره بشرا من لحم  
 ودم ، بل كملاك تحرر من كل أسباب الضعف البشري .  
 وكما ان الجميع يخشون الحاكم المستبد ويتملقونه طالما  
 كان يستمتع بسلطانه الذي يعجزون عن مقاومته ، حتى اذا  
 ضعف هذا السلطان انقلب عليه الذين كانوا من قبل يدعون  
 صداقته ، فيعلنون له عدم احترامهم ويناصبونه العداة  
 وبهاجمونه في مواطن ضعفه بغية عزله من منصبه .. هكذا  
 الحال مع الكاهن ، فمن كانوا يوقرونه ويحترمونه أيام  
 رئاسته وسلطانه ، اذا لمسوا فيه أى ضعف سارعوا الي  
 عزله ، ليس كعزل الحاكم المستبد فحسب بل أسوأ بكثير .  
 وكما أن الحاكم المستبد يخشى من خاشيته وخراسبه ،

هكذا الكاهن يخشى أيضا من المقربين اليه والمشاركين له في خدمته .. بل يجزع من هؤلاء أكثر من سواهم ، لأنه ليس من يشتهى رئاسته ويتطلع إليها أكثر منهم . وهم بحكم قربهم منه وتعرفهم على أخص شئونه ، فانهم أول من يشعرون بهفواته قبل غيرهم . وإذا افتروا عليه فلن يعوزهم الدليل لاثبات افتراءاتهم ، فيعظمون ما صغر من الهفوات ، ويدينون ضحيتهم ناقضين قول الرسول : « ان كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه . وان كان عضو واحد يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه » (١) .

أفرضيك اذن ان تلقى في آتون هذه الحروب ؟ .. وهل تعتقد ان لدى الكفاءة لمثل هذه المعركة ؟ .. من أعلمك بهذا ومتى ؟ .. ان كان الله هو الذى شهد لك بذلك فأرنى النبى الذى تنبأ بهذا وأنا أخضع .. فان لم تستطع ، وكان رأيك فى قائما على مجرد فكر بشرى ، فأرجو ان تطلع عن هذا الوهم .. فليس أقدر منى على الحكم فى امورى لانه « من من الناس يعرف أمور الانسان الا روح الانسان الذى فيه » (٢) .

(١) كورنثوس الاولى ١٢ : ٢٦

(٢) كورنثوس الاولى ١٢ : ٢٦ .

فلو انى قبلت هذه الكرامة لجعلت من نفسى وممن يزكوننى أضحوكة ... لأن اشتهاه هذه الرئاسة لا يشير الحسد وحده ، بل الكثير من الشرور التى تدفع الكثيرين الى محاربة من نالوها .. وكما ان محبى المال يعززه طول اعمار آبائهم ، هكذا فان امثالهم وأشباههم لا يسعدهم طول بقاء الكاهن فى منصبه . ولهذا فانهم عوض ان يقتلوه ، لأن القتل جريمة ، فانهم يسعون الى تنحيته ليخلفوه فى كرسيه ، متطلعين الى الفوز بالكرامة التى ينعم بها الكاهن ،

— ١٥ —

صورة أخرى من صور الكفاج المحاطة بمخاطر عظيمة أعرضها عليك ،

اذا القيت نظرة على الانتخابات العامة حيث تتم عادة التزكية للكهنة ، سوف ترى اتهامات كثيرة تنسب الى الكاهن بعدد من يرعاهم . فالأكليروس جميعهم ينقسمون الى فرق وشيع حتى ليتعذر على « مجلس الشيوخ »\* أن

(\*) لا يمكن على وجه التحديد معرفة من هم ناخبو الاسقف فى ذلك الزمان . فمن المحتمل ان يكونوا خليطا من الكهنة ورؤساء الشمامسة . وقد أشار اليهم ذهبى الفم فى موضع آخر بامبارهم « آباء » وفى مكان آخر « رجال كبار » وما هو يسميهم هنا « مجلس الشيوخ » ،

تحدد كلمتهم فيمن يختارونه أسقفا ، إذ يجاز كل منهم الى جانب أحد المرشحين ، وذلك لأن لكل منهم وجهة نظر مختلفة ، غير ملتزمين بفكر واحد يضعونه نصب عيونهم وهو اختيار اللائق واليحث عن النفس القاضية ، بل يتطلبون مؤهلات أخرى لنوال هذه الكرامة . . فيقول بعضهم مثلا : لنتخب هذا الرجل لأنه ينتمي الى أسرة عريقة . ويقول آخرون : لا بل ننتخب هذا لثرائه وغنايه فهو لن يحتاج الى موارد الكنيسة . وفريق ثالث يدعو لمرشحه لأنه : انسلخ من معسكر خصومهم . ثم يتحمس آخرون لتزكية رجل مجرد انه تربطه بهم روابط شخصية وثيقة ، أو لانتمائه الى موطنهم ، أو لأن المرشح يجيد اللق ، وفي كل هذه الحالات لا يفكر أحد فيمن يكون حقا جديرا بهذه الكرامة . اما أنا فلا أومن بصلاحيه هذه المعايير في الترشيح للكهنوت ، إذ انه حتى لو كان المرشح على درجة عالية من التقوى - وهذا أمر هام في الكهنوت - فاني لا أستطيع أن اغامر بترشيحه استنادا الى تقواه فحسب إذا لم يقتن مواهب أخرى .

وأنا اعرف كثيرين فرضوا على انفسهم تدريبات شاقة ، وعذبوا اجسادهم بأصوام طويلة ، ولكن لانهم لا يتحملون الا مسئولية انفسهم فقط فيكونون مرضيين امام الرب ، ويوما بعد يوم يضيفون الى فضائلهم فضائل أخرى

جديدة ، حتى اذا خرجوا الى الحياة العامة واضطروا الى التناخل لتصحيح جهالات الشعب ، وضع عدم صلاحيتهم لهذه المهمة الكبيرة ، حتى ان بعضهم يتخلى عن اسلوب حياة الفضيلة التي كان ينتهجها . . وهكذا يخسرون انفسهم دون ان يربحوا آخرين .

اما من قضى اكثر حياته في اول درجة من درجات الكهنوت حتى بلغ سن الشيخوخة ، فلا يسوغ ترقيته الى درجة أعلى لمجرد احترام سنه . . طالما انه لم ينم في النعمة والتقوى رغم بلوغه سن الشيخوخة . لست أقول هذا لأقلل من قدر الشيخوخة ، أو لأغلق الباب امام المرشحين لهذه الرتبة من بين الرهبان . ( فهناك نماذج من هؤلاء كانوا موفقين توفيقا كبيرا ) - بل ما أود أن أبرزه هو انه ليس النسك في حد ذاته أو التقدم في السن وحدهما كافيين لنوال الكهنوت .

وهناك أيضا من يسوقون مزاعم أخرى أكثر سخفا . . فالبعض يمنحون درجات كهنوتية حتى لا ينضمون الى صفوف الخصوم . . وآخرون يمنحونها اتقاء لشرهم . فهل هناك تعد على الحق أكثر من هذا ؟ ان الاشرار الملوثين بالأثم يكزومون لاجل أمور كان ينبغي أن يحتقروا لاجلها !! ويرتقون الى الكهنوت لاجل أمور كانت كافية لاقتصائهم هي الكنية !!

ان ابعاد الرجال النافعين لنقحم في مكانهم غير المستحقين  
لهو شر كبير ..

افلا تستحق هذه الأفعال مجازاة بنيران متقدة اضعاف  
ما انذرنا به الكتاب المقدس ؟؟ .

ومع هذا فان هذه الأثام يحملها عنا من لا يشاء موت  
الخطيء مثلما يرجع ويحيا . حقا ما أعجب محبته للبشرية  
وما أعظم رحمته !! ان المنتمين الى المسيح هم الذين  
يكفرون وصايا المسيح أكثر من أعدائه وخصومه .. ومع  
هذا فهو لعظم رحمته مازال يعاملهم بمحبة ويدعوهم الى  
التوبة . المجد لك يارب . يارب لك المجد . ما أوسع  
محبتك وأعماقها ! وما أعظم غنى احتمالك للبشر !! ان  
الرجال الذين أكرمتهم ورفعتهم من العدم والهوان الى  
كراسي الكرامة يستخدمون ما أكرمتهم به في اهانتك !!  
ويتجاسرون على المقدسات ، ويرفضون الغيورين ليفسحوا  
للأشرار مجالا لارضاء أهوائهم بغير خوف أو وجل !!

وإذا سألت عن علة هذه الشرور فستجدها مماثلة  
لما سبق ان ذكرته ، فجذورها واحدة واصلهما واحد  
وهو « الحسد » الذي يظهر في صور متعددة . فهم يبعدون  
رجلا من قائمة المرشحين للكهنوت لانه حديث السن ..  
ويبعدون آخر لانه لا يجيد فن المديح ، ويرفضون ثالثا لانه

ايحوز لنا بعد هذا ان نتساءل عن سبب غضب الرب  
علينا ، ونحن نقلد هذه الدرجات المقدسة الكريمة لرجال  
أشرار أو غير صالحين فيفسدوها ؟!

كثيرا ما كنت اسخر من الحكام العلمانيين لانهم في توزيع  
المناصب لا يقيمون وزنا للقيم الخلقية بقدر اهتمامهم بالمال  
والجاه والنفوذ .. حتى تطرق الى سمعي أفشى مثل  
هذه الحماقات في شئون الكنيسة أيضا ، فلم أعد أستنكرها  
على العلمانيين . وقد لا يكون مستغربا ان أهل العالم  
الذين يحبون المديح ويفعلون كل شيء سعيا وراء الربح ان  
يرتكبوا مثل هذه الأخطاء .. أما الذين يدعون التحرر من  
هذه الأهواء فقد شابهوا أهل العالم ، ورغم جهادهم من أجل  
السماويات فقد أصبحوا يتصرفون كما لو كان الأمر متعلقا  
بشراء حقل أو ما شابه ذلك .. وهم يقيمون أناسا غير  
مستحقين في تلك الأمور السماوية ، التي من أجلها أخلى  
المسيح الكلمة ذاته آخذا شكل العبد وبصق عليه وتآلم  
ومات في الجسد .. وليت الأمر كان يقتصر على هذا  
فحسب ، بل انهم يضيفون أمورا أخرى أكثر شرا ..  
فانهم يختارون ليس فقط غير المستحقين بل يبعدون أيضا  
الأكفاء المستحقين للخدمة ، وكانهم في كلتا الحالتين يريدون  
هدم سلام الكنيسة ، وكان سلوكهم الأول لم يكن كافيا  
لإثارة غضب الله فيبدرون أمورا أخرى أشر منها . وفي رأيي

من الأولى ، لأنهم سيتضافرون معا ليشكلوا قوة أوسع سلطة وأكثر نفوذا .. وكما أن الرياح اذا تصادمت تثير المحيط الساكين وترفع أمواجه حتى تطيح بالسفن التي كانت تتهادى فوق سطحه .. هكذا حال الكنيسة اذا احتضنت الأشرار ، فان سلامها يتبدد ليحل محله الشر والهوان .

### - ١٦ -

فأى نوع من الرجال ينبغي أن يكون من يواجه مثل هذه الأعاصير ، ويتصدى لمعوقات الخدمة العامة ؟. ينبغي أن يكون عزيز النفس في غير كبرياء ، حازما لكنه رحيم ، اداريا بغير دكتاتورية ، منصفًا بغير مجاملة ، متواضعا في غير خنوع ، صارما ورفيقا معا .. حتى يمكنه التغلب على تلك المصاعب ، وينبغي ان يقدم على الكهنوت بثقة من هو أهل له ، وبنفس الاصرار ينبغي أن يتعد عنه غير المستحق . حتى لو اتفق الجميع على اختياره ، واضعا نصب عينيه هدفا واحدا هو بناء الكنيسة بلا تحيز لصديق أو عدو .

لعلك توافقنى الآن انى تصرفت بحكمة عندما رفضت قبول كرامة الكهنوت .. ومع هذا فانى لم استطرد بعد في ذكر كل مبرراتى ، اذ لم يزل بعد هناك أسباب أخرى اريد ان اذكرها ..

فالضرورة تقتضى لمن هو مقبل على شق هذا الطريق

اغضب كيت وكيت من الناس .. ورابعا لارضاء شخص كبيرة تحرص على ترشيح شخص معين ، ويبعدون خام لأنه رقيق وحنون اما السادس فلأنه عنيف مع الخطاة والسابع لسبب مشابه .. وهكذا لا يعدمون علة ينسبوا اليه ان شاءوا .. حتى أنهم قد يعتبرون الثراء سببا لرفض صاحبه اذا لم يجدوا فيه علة يحسبوننها ضده فهم لا تعوزهم القدرة على ايجاد المبررات والعلل .. الا الذى يجعل المرء لا يتسرع في قبول هذه الكرامة بل يتسا ويتروى .

وهنا قد يتساءل أحد : ماذا يصنع الاسقف الذى يتح عليه أن يواجه مثل هذه العواصف ؟. وكيف يقدر يتصدى لمثل هذه الحملات ؟؟

فلو أن الاسقف دبر الأمور تبعا للمبادئ المستقيمة لهاج أعداؤه وخصوم مرشحه وقاوموها واثاروا المنازعة وكالوا التهم لهم ويظلوا هكذا حتى يتم لهم اقصاصهم واحلال مختارهم محلهم . وهذا هو مثل ما يحدث عند يكون في السفينة قراصنة دأبوا على تدبير المؤامرات والخبث ضد الربان وملاحيه .. فاذا آثر الاسقف الاستسلام وقدم مرشحين غير مستحقين فانه يجلب على نفسه غضب الله وهل هناك أسوأ من هذا ؟؟ .. ومع هذا فانه حتى لو قبل هذا الوضع فلن تسلم علاقته بهم من مشاكل أخرى اش

أن يتدبر كل شيء بدقة قبل أن يضع يده على المحراث ولعلك تتساءل لماذا؟ .. ذلك لأن من يعرف كل شيء بوضوح لن يستغرب أى أمر يواجهه فيما بعد . فهل ترى أن تدارس موضوع خدمة الأرامل ؟ .. أم العنايا بالعذارى ؟ .. أم المتاعب القضائية ؟ . ان كلا من هاتين الموضوعات له مشاكله ومخاوفه الخاصة .

فلنبدا بالموضوع الذى يبدو للكثيرين أنه أسهل الموضوعات الثلاثة - وهو موضوع خدمة الأرامل - الذى يظن المهتمون به أنه لا يتعدى الاهتمام بتدبير الانفاق عليهن مع أنه فى الحقيقة أبعد من هذا بكثير ، لأن الاهتمام بالأرامل يحتاج الى دراسات فاحصة لمعرفة من تستحق منهن أو تسجل بسجلات الكنيسة\* لأنهن أن أحصين وسجلن بغير تمييز ضمن سجل الأرامل فإن هذا يكون سببا لشروا كثيرة .. فمعهن من ذمرن بيوتنا وهدمن زيجات ، بل ومعهن

(\*) منذ العصر الرسولى عنت الكنيسة برعاية الأرامل ( اى ٥ : ٩ ) وجعلته واجبا يستحق الاداء بحرص لئلا تستمتع غير المستحقات بالخدمات التى تقدم لهن . وفى عهد ذهبى الفم كان هنالك « قضاة للأرامل » يختلف من النظام البسيط الذى كان يميز اليهود الأولى والذى كانت تدر فيه الأرامل أنفسهن للخدمة الدينية . لقد حيدت الكنيسة بقوة الامتناع من الزواج الثانى ، وكثير من النساء كن يتظاهرن بتدبير أنفسهن للتمهل لئى ينتفن من مساعدات الكنيسة ، بينما كان سلوكهن لا أخلاقى .

من اتهمن بالسرقة وابتزاز الاموال وغير ذلك من الاعمال الأخرى المشينة . فمساعدة مثل هؤلاء النساء من موارد الكنيسة يثير غضب الله ويعرض المسئولين للدينونة ويطفىء حماس الفيورين الذين يحبون عمل الخير . لأنه من يرضى أن يتفق المال الذى أوقفه للسيد المسيح على نساء يتسببن فى الاساءة الى اسم المسيح ؟ .

لأجل هذا ينبغى الاستقصاء والتحرى الدقيق حتى لا تقدم المساعدات الى أمثال تلك الأرامل اللاتى يستطعن أن يعلن أنفسهن .. فضلا عن هذا فان الأمر يحتاج الى جهد آخر لنضمن للمحتاجات موردا ثابتا من المال ، لأن الفقر الاجبارى لا يجعل صاحبه يشكر أو يحتمل .

فالحاجة اذا كبيرة الى حكمة الفيورين وحماسهم لسد كل فم وقطع الطريق على أى احتجاج .

وقد اعتاد غالبية الناس متى راوا انسانا يحتقر المال أن يرشحوه لأمانة الصندوق .. ومع هذا فليست أظن أن هذه الفضيلة الروحية وحدها كافية - مع أنها تأتى فى مقدمة الفضائل التى ينبغى التحلى بها لأنه بغيرها يصبح الانسان ذئبا خاطفا لا رايعيا صالحا يحافظ على ما أوتى عليه - فهناك فضيلة أخرى ينبغى أن تقترن بها وهى فضيلة الصبر والاحتمال التى هى وراء كل فضيلة ، تقود الانسان



التي ميناء السلام . فالأرامل فئة من الناس - بسبب فقرها  
وتقدم سنها وميلها الطبيعي - تنهمك في الثروة ، دائمة  
الشكوى والتنهيد والنحيب من أجل أمور كانت تستوجب  
الشكر والحمد ، وهكذا يتحتم على المشرف على أمورهن أن  
يحتمل كل هذه الأمور بروح طيبة ، والا يجتد على ما يثرونه  
في غير موضعه ، لأن هذه الفئة تستحق أن يرثى لمصائبهن  
لأن يزدري بشقائهن . . من أجل هذا فإن الحكيم ، لما  
رأى في الطبيعة البشرية من كبرياء وحب للمال ، وأحس  
بطبيعة الفقر وشدة تأثيره إلى الحد الذي يجمّل أكثر  
الناس تعففا يطرح عن وجهه الحياء طلبا لما يحتاج إليه ،  
مما يدعو المرء إلى الصبر على احتمال المتاعب التي تصدر  
عنهن ، فلا يصير لهن عدوا بل يحرص على مصادقاتهن  
ومساعدتهن - لهذا ينصح الحكيم بأن يكون الإنسان ودودا  
اليف مع صاحب الحاجة قائلا : « امل أذنك إلى المسكين  
وأجبه برفق ووداعة » ( سير ٤ : ٨ ) . ويخاطب القادر على  
تحمل ضعفات الآخرين فينصحه قبل اغداق العطايا بأن  
يعامل صاحب الحاجة بسماحة الوجه ورقة اللفظ وتواضعه  
. . لأن الإنسان حتى وإن كلن لا يستولى على مال الأرامل  
لكنه يكيل لهن الإهانات والتقريع ويحتد عليهن ، فإن عطاياه  
لن تخفف من حدة اليأس وكآبة الفقر ، بل أن سوء معاملته  
لهن سيضاعف من حزنهن والمهن . فالمحتسجات رغم

اضطرارهن إلى رفع الحياء تحت الحاح الجوع والعوز إلا  
أنهن يتألن في قرارة نفوسهن لما صار إليه حالهن .

فجدير بمن يتصدى لخدمتهن أن يدرب نفسه على تحمل  
الآلام ، ليس فقط لكي لا يزيد حزنهن بغضبه عليهن بل لكي  
يخفف عنهن بما يقدمه لهن من توجيه ومواساة .

وكما أن المرء إذا أهين لا يحس بقيمة ما يقدم له من  
اعانات مالية مهما كثرت بسبب الجرح الذي يلحقه من  
سوء المعاملة ، هكذا فإنه من الناحية الأخرى إذا عومل  
معاملة رقيقة وقدمت إليه العطية ومعها كلمة مشجعة ،  
فإنه يسر ويتعزى حتى أن قيمة هذه الهبة تنضاعف بسبب  
الأسلوب الذي قدمت به . ولست أقول هذا من عندي  
فقد استعرت من صاحب الحكمة السابق الاستشهاد  
بكلامه فهو يقول : « يابنى لا تقرن الصنعة باللام ولا العطية  
بكلام التفتيخ . أليس الندى يبرد الحر هكذا الكلام أفضل  
من العطية . أما ترى أن الكلام أفضل من العطية وكلاهما  
عند الرجل المنعم عليه سواء ؟ » ( سير ١٨ : ١٥ - ١٧ ) .

ولا يكفي أن يكون المشرف على الأرامل رقيقا واسع  
الصدر فحسب بل ينبغي أن يكون أيضا محنكا في تدبير  
المال وإدارته . . إذ لو أعوزته هذه المهمات لآلت مصالح  
المساكين إلى الضياع . فمنذ زمن ليس ببعيد أؤمن أحد

اما رعاية العذارى فالخوف والجزع عليهن يكون اكبر بمقدار ما لهن من منزلة . لأن هذا القطيع يتميز بصفات اسمى مما للآخرين - ومع هذا فانه حتى بين هذه الفئة الطاهرة يندس عدد لا يحصى من الساقطات مما يزيد حزننا .. فالعذراء تكافح لبلوغ اهداف اسمى وتجاهد في سبيل الفلسفة العليا (١) ، وتمثل حياة الملائكة على الأرض . ورغم كونهن في الجسد الا أنهن يأتين اعمالا يمكن ان تنسب للقوات السمودية . فضلا عن هذا فلا ينبغي ان تتردد العذراء على أماكن كثيرة او غير ضرورية ، وغير مسموح لها ان تتكلم كلاما عشوائيا اما الألفاظ الخارجة فلا ينبغي ان تخلش سمعها . ومن ثم فهي تحتاج الى رعاية كبيرة ، لأن عدو الخير والطهارة رابض دائما يتربص لهن ، يلتمس اقتراس من تتهاون منهن أو تنزلق ..

(١) هي حياة التأمل الروحي وهي غير حياة الرهبانية . ويرجع ان ذهبى الفم كان يتحدث في هذا الفصل عن العذارى المكرسات لخدمة الكنيسة واللاتى كن يمشن مع آبائهن ( ان كانوا احياء ) أو مع آباء الكنيسة . وان أول اشارة الى حياة النذريات اللاتى يمشن في مساكن منعزلة جاءت في منتصف القرن الرابع . ويقال ان القديس باسيليوس انشا واحدا من هذه البيوت .

المسؤولين عن هذه الخدمة على ثروة طائلة ، ومع انه لم ينفقها على نفسه فانه لم يصرف منها كذلك على المحتاجين الا في حالات استثنائية ، وطمر الجانب الأكبر من الثروة في الأرض حتى قامت حرب وقعت فيها الأموال بين يدي الأعداء .

فالامر يحتاج اذن الى تبصر ، بحيث لا تترك موارد الكنيسة لتتكلس أو تتبدد بل يتم توزيعها في الوقت المناسب ..

ولا تغفل مقدار ما يحتاج اليه اضافة الغرباء ورعاية المرضى من أموال كثيرة وحكمة من القائمين بها . فكثيرا ما يزيد الانفاق في هذه الأبواب عما ينفق في خدمة الأرامل ، بحيث يحتاج المهتم بهذه الخدمة الى مهارة في تدبير الموارد المالية وحكمة في توجيهها .. وينبغي ان تكون هذه الخدمة مصحوبة بالاجتهاد والغيرة ذلك لأن المرضى قوم يصعب ارضاؤهم وهم قابلون للاستسلام والتراخي ، فاذا لم يتم التعامل معهم بحذر ودقة كبيرة فان أى تجاهل بسيط قد يضر بالمرضى ضررا كبيرا .

والى جانب هذا فما أصعب ما يعاينه من مقاوم طبيعتهم وغرائزهم البشرية . وعلى العموم ينبغي ان تهى العذراء نفسها لحرب ذات وجهتين ، احدها مهاجمها من خارج والأخرى تضغط عليها من داخل . من اجل هذا كان خوف المشرفين على العذارى كبيرا ، والخطر الذى يواجهونه بسببهن أعظم .. فان كانت الفتاة التى تعيش بعفرتها توثق والسها لانشغاله بالمحافظة على بتوليحتها ، او لخصيها زهوة شبابها ( بغير زواج ) ، او بسبب عنسليم افعالها او لكرامية زوجها له .. فكم يكون ألم من يهتم بأمور ليست كهداه بل أعظم منها متى عرض لهذه البتول عارض !! فليس المجنى عليه هنا انسانا بل المسيح ذاته ، وما تلام عليه الفتاة ليس عقما بل الشر الذى يودى الى هلاك النفس « لأن كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار » ( متى ٣ : ١٠ ) .. فمن يرفضها العريس السمطوى لا يكفى أن تعطى كتاب طلاق وتتصرف لحالها بل تعرض نفسها لعذاب أبدي » ( ٢ ) .

اما قضايا الامور المدنية للأسقفية فهي حافلة بمسدد لا يحصى من المشاكل والمصاعب التى تحتاج الى وقت طويل

(٢) هنا يسترسل ذهن القم في وصفه مخاض خدمة المتدريز استرسالا طويلا بصورة فضلنا حذفها .

ومجهود ضخم ينوء به القاضي العلماني .. لأن مهمة الاسقف هي تحري العدل واثبات الحقوق لأصحابها . فليست المشكلة هي مشكلة ضيق وقت أو مصاعب أو معوقات ، بل المخاطر التى تترتب على التهاون . فقد حدث ان بعض الاخوة الضعفاء لما وقعوا في أمر ولم يجدوا من يعينهم أو يساندتهم تركوا ديانتهم ، وكثير من المظلومين حققوا على من تخلى عن مساعدتهم بمقدار جهدهم على من ظلمهم ، غير مقدرين لما قد يكون هناك من معوقات أو ضيق وقت أو حدود لسلطان الكاهن أو أى شيء آخر من هذيل القبيل .. فهم قضاة بغير رحمة لا يقبلون علينا إلا انقازهم مما حاق بهم من ظلم ، فاذا لم يتمكن الكاهن من هذا فلي يفتى من لومهم مهما حاول تبرير نفسه باعتذارات شتى .

وبمناسبة الحديث عن الرعاية والملامة ، دعني أكشف سببا آخر للملامة . فالأسقف اذا لم يتم يوميا بجسولة واسعة من الزيارات قد تزيد عما يقوم به انسان بلا مشغوليات ، فقد يودى الأمر الى عواقب عديدة لا يمكن التنبؤ بها . فليس المريض وحده بل حتى الأصحاح يطهون في زيارة الاسقف . وليس ذلك منهم عن تدبير أو تقوى بل كثيرا ما يكون سببا وراء الظهور والكرامة ، واذا حدث أن تكورت زيارات الاسقف لرجل غنى بغية صالح الكنيسة فسريعا ما تلصق به تهمة التملق .

ولماذا اتحدث عن الرعاية والزيارات ؟ بل ان مجسده اصطحاب الاسقف لشخص معين قد يعرضه للوم ويسبب له مزيدا من الضيق . وحتى عيون الاسقف يحتاج الى التحكم في نظراتها ، ذلك لان الشعب ينتقد ابط حركاتها وسكناتها . وايضا هيئة وجهه وابتسامته .. واحد يقول : لقد ضحك مع فلان من الأعماق .. وآخر يقول : لقد رحب بفلان بترحيب وفرح بينما لم يعرني سوى التفاتة عابرة . فمن ذا الذى يستطيع ان يتصدى لكل هذه الحملات ، مالم يكن على درجة عالية من الصلابة ؟ .. وكيف يمكن أن ينجو من لومهم ؟ ...

وناهيك عن الحزن الذى يمازيه الأسقف حين تلجئه الضرورة الى قطع أحد أفراد الرعية من الكنيسة او حرمانه من تناول .. اذ ليت الأمر يقف عند حد الحزن بل ان اضرارا أخرى قد تنشأ عن هذا التصرف .. فقد يخشى من احتمال سقوط الشخص المقطوع فيما ذكره القديس بولس الرسول : « يتلج مثل هذا من الحزن المفرط » ( ٢ كورنثوس ٢ : ٧ ) .

لهذا كان التدقيق الشديد مطلوبا في هذه المواقف ايضا حتى لا يصير ما هو نافع سببا لخسارة اعظم . فمهما اوتكب ذاك من أخطاء بعد قطعه فان الطبيب الذى يحسن

استخدام مبضعه في علاج مريضه ينبغي ان يشترك معه في العواقب .

فالكاهن يتوقع حسابا ليس عن خطاياہ التي ارتكبتها بمعرفته فحسب بل عن الخطايا الأخرى التي سقطت غيره فيها بسببه . وان كنا نرتعد عند حسابنا عن أفعالنا الشريرة واثقين أننا لن نستطيع الهروب من تلك النار التي تنتظرنا في العالم الآتى فكم وكم يصيب الانسان الذى هو عنيد أن يقدم حسابا عن أخطاء الآخرين !!

وقد يشهد لى بصحة ما أقول ، قول بولس الرسول .. لا بل قول المسيح له المجد على لسان بولس : « اطيعوا مرشديكم واخضعوا ، لانهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابا » ( عبرانيين ١٣ : ١٧ ) فهل الخوف من هذا الوعيد يمكن أن يكون هينا ؟

لا يسوغ هذا مطلقا ، وان ما قلته فيه الكفاية لاقناع أشد الناس قسوة وشككا ، وانى ما امتنعت عن قبسول الكهنوت كبرياء منى أو سعيا وراء المجد الباطل .. بل ان ما دعانى الى الفرار منه هو الخوف على سلامتى وتقديرا لخطورة المنصب .

الكتاب الرابع

أنصت باسيليوس لهذا ، وبصد فترة وجيزة اجاب  
قائلا :

لو كنت قد بدأت بطلب هذه الدرجة الكهنوتية لكان  
لخوفك هذا وجهه المعقول ، لأن من يسمى لنوال هذه  
الدرجة فهو يعترف ضمنا بصلاحيته لها . فاذا لم يوفق  
فيما بعد في حمل الأمانة فلن يقبل منه اى احتجاج أو اعتذار  
عن تقصيره بحجة عدم خبرته ، لأنه كان الأجدر به أن يمن  
التفكير في الأمر قبل التسرع في قبول الرسالة التي رحب  
بها من قبل بكامل ارادته وتقديره للأمور ، بحيث لم يعد  
يقبل منه القول متعللا : لقد أخطأت بغير اختياري ..  
وأسأت على غير ارادتي الى نفس هذا أو ذلك من الشعب .  
لأن الديان سيجيبه قائلا : بما أنك كنت تعلم أنك غير  
مستحق لهذه الوظيفة وانك غير قادر على تحمل مسؤولياتها  
بغير لوم فلماذا كنت اذا متسرعا ومتهلها لتتقلد أمورا تفوق  
مقدرتك ؟ ومن أجبرك على هذا ؟ هل حاولت التهرب أو  
الفرار فأرغمت قسرا وعلى غير ارادتك ؟؟

أما أنت فلن تسمح مثل هذا الكلام لأنك لم تفعل تسبيحا  
من هذا يمكن أن تدان عليه . وواضح للجميع أنك لم  
تكن متلهفا أبدا ، وما سعت مطلقا لهذه الكرامة على غير  
مافعل الكثيرون ...

أولا - الذين يدهون أنفسهم يتورطون في قبول هذا  
الخدمة المقدسة مثلهم مثل الذين يسمون اليها لمصالح  
شخصية - كلاهما سيقدّم حسابا عن هذه الخطبة في اليوم  
الأخير .

ثانيا - أما الذين رسموا غير المستحقين حتى لو كانوا  
لا يعلمون شيئا عن أخلاقهم وطبائعهم يكونون شركاء لهم في  
المعقوبة .

ثالثا - ينبغي أن يتميز الكاهن بمواهب عالية في الخطابة

رابعا - يجب أن يكون مستعدا للمجابهة عما يثيره كل  
الخصوم يهودا كانوا أو أميين أو هراطقة .

خامسا - يجب أن يكون ماهرا في النقاش والحوار .

سادسا - وهى الموهبة التى تفوق فيها بولس الرسول  
بنوع خاص .

سابعا - حتى أنه صار مضرب الأمثال في كلماته أكثر من  
ممجزاته .

ثامنا - وهو يريد لنا أن نتفوق أيضا في هذا المجال .

تاسعا - لأن عجز الكاهن في هذه الموهبة يؤدي حتما  
الى خسران النفوس المؤمن عليها .

**ذهبي الفم :** لو لم يكن هنالك حقا عقاب ينتظرني بسبب حملي مسئولية رعاية خراف المسيح بغير استحقاق ، فهناك ما هو اهم بالنسبة الى وهو ان هذه الامور نفسها التي اوتمنت عليها من المسيح هي اقسى من كل عقوبة لما تنطوى عليه من اظهار حقارتى وعدم امانتى .

اذا لماذا كنت اتمنى ان تكون الامور كما وصفتها ؟؟؟

لقد تمنيت هذا بالحقيقة من اجل هؤلاء الاشقياء التمساء ( لانه هكذا ينبغي ان ادعو الذين لم يحسنوا اداء واجبات هذه الوظيفة مهما ادعو آلاف المرات ان الضرورة قادتهم الى ذلك وان خطيتهم خطية جهل ) حتى يتمكنوا من الخلاص من النار التي لاتطفأ والظلمة الخارجية ( متى ٢٥ : ٣٠ ) والدود الذي لايموت ( مرقس ٩ : ٤٤ ) والعقاب الذي يجعل نصيبهم مع المرأين ( متى ٢٤ : ٥١ )

لكنى لا استصوب معك هذا الراى ... لان الامر ليس كما تذكر باى حال من الاحوال .. ولعلى استطيع ان اقدم لك مصداق قولى .. فالكهنوت عند الله اجل واكرم من الملك .. فشاوول بن قهس لم يسع الى الملك حتى صار ملكا وانما كان يرمى قطيعا من الحمير ثم تقدم الى النبي يسأل عنها .. فحدثه النبي عن الملك ... ورغم هذا فانه لم يسع الى الملك بجشع ، مع ان ماسمعه كل من نبى ،

بل تراجع وصلى الى الله كى يعفيه من الملك قائلا : « من انا ؟ ومن هو بيت ابي ؟ » ( اصم ٩ : ٢١ ) فماذا حدث فيما بعد ؟؟ .. فحين اساء استخدام الكرامة التي وهبها له الله .. هل انتقدته كلماته الاولى من غضب من اقامه ملكا ؟؟ .. وهل كان في مقدوره ان يبرر نفسه امام شكوى صموئيل النبي فيقول : « هل سمعيت انا وراء الملك وصولجانه ؟ .. لكم تمنيت ان احيا حياة عادية هادئة ، وانما دفعتنى انت الى هذا المنصب الكبير .. ولو بقيت فى حياتى الاولى الوضيعة لما تعرضت لهذه المصناعات ، لاننى لو بقيت كواحد من افراد الشعب المغمورين لما ارسلت فى تلك المهمة الصعبة ، ولا كان الله تعالى اوكل الى محاربة عماليق وما كنت سقطت فى هذه الخطية » . لكن كل هذه الحجج واهية ، وهى ليست هكذا فحسب بل هى خطيرة ايضا لانها تثير غضب الله .. لان من يرفعهم الله فى الكرامة لايجوز لهم ان يتعللوا بعظم الكرامة ليعتدلوا بها عما يرتكبه من خطايا ، بل الاجدر بهم ان يجملوا من تكريم الله لهم حافزا لمزيد من الجهد والعمل . فمن يرتكبون الخطايا متعللين بما نالوه من كرامة غير عادية فانما يقابلون محبة الله الخائبة بالتعمدى والاهمال والبعد عن الله . فلا يليق بنا ان يكون لنا مثل هذا الفكر ، او ان نسقط فى مثل حماقاتهم ، بل الاجدر بنا ان نتاجر ونربح فى هذه السطايا وان تكون اقوالنا وافكارنا مقدسة .

فلنترك موضوع الملك ونعود الى الكهنوت فهو موضوع خطابنا - فان على الكاهن ماسعى الى هذا المركز السامى ، لكن لما سقط في الخطية فماذا نفعه من كونه لم يطلبه ؟؟ ومالى اقول انه لم يطلبه بل لو كان يريد ان يهرب منه لما كان هذا ممكنا لان الضرورة كانت تحتّم عليه ان يقبله لانه كان من سبط لاوى ، وكان ملتزما بأن يقوم بواجبات هذه الرئاسة التى توارثها عن آباءه ، ولم يكن قادرا ان يتركها لغيره ... غير انه مع ذلك عاقبه الله عما ارتكبه أبناؤه من خطايا ( امل ٤ ) .

وهارون اول كاهن لليهود ، الذى من اجله كلم الرب موسى مرارا ، فلما لم يقدر ان ينهض بمفرده على ايقاف شر هذا الشعب الكبير - ألم يشرف على الهلاك لولا شفاعة شقيقه ووساطته الذى حول غضب الله ؟؟ ( خروج ٣٢ : ١٠ ، ١١ ) . وما دمنا نتحدث عن موسى فمن الجيد ان نبرهن على صدق قولنا مما حدث معه . فهذا النبى القديس كان أبعد ما يكون عن التمسك بقيادة اليهود حتى انه توسل الى الله ان يعفيه منها ، الى حد انه اثار سخط الله عليه بالحاحه فى الاعتذار ( خروج ٤ : ١٣ ) ليس فى ذلك الحين فقط بل بعد ذلك أيضا لما رقى الى هذه الرياسة فانه تمنى الموت حتى يتخلص من حكم هذا الشعب وقال « اقتلنى قتلا ان وجدت نعمة فى عينيك

فلا اوى بليتى » ( عدد ١١ : ١٥ ) موسى هذا .. ما الذى حدث معه لما أخطأ فى البرية بسبب عدم وجود الماء ؟؟ ( عدد ٢٠ : ١٢ ) .. هل شفع رفضه المتكرر ( للخدمة ) فى تبرير خطيئته أو نوال صفح الله ؟؟ لماذا اذا حرم من ارض الموعد ؟ اليس من اجل هذه الخطية التى حرمته من التمتع بالبركات التى نالها أتباعه ؟؟ بل انه بعد متاعب وآلام كثيرة ، وبعد تشرد لا يوصف ومعارك دموية وانتصارات فى الحروب ، مات موسى دون ان يرى الأرض التى تحمل فى سبيل بلوغها الأهوال والمشقات .. وبعد الذى عاناه من عواصف ورياح لم يفز بسلام الميناء وهدوئه .. !!

ارابت كيف انه لا يوجد ما يمكن لأحد ان يعتذر به عن خطئه سواء من سعى الى هذه الكرامة أو من قدمه اليها غيره ؟! لانه اذا كان الذين اختارهم الرب بذاته لهذه المهمة الكبيرة لم يخلصوا من العقاب ولم ينقذهم شيء منه ، فالجميع سواء : هارون وعالى وحتى هذا النبى القديس صانع العجائب الذى فاق حلمه جميع من على وجه الأرض ( عدد ١٢ : ٣ ) .. الذى خاطب الرب كما يكلم الصديق صديقه ، هذا الرجل الذى يعجز اللسان عن وصف عظمته !!

لقد اختار الرب يهوذا واحصاه ضمن تلاميذه القديسين



ومنحه كما للباقيين بركة الخدمة الرسولية مثل باقي الرسل .. ليس هذا فحسب بل ميزه عن الآخرين بأن أعطاه أمانة الصندوق ( يوحنا ١٢ : ٦ ) .. فماذا حدث معه ؟؟ تنكر فيما بعد للرسالتين .. فخان سيده الذى ائتمنه على الكرازة ، وأساء استخدام المال الذى كان حرى به أن يحتقره - أتراه أفلت من العقاب لكونه رسولا ؟؟ كلا ، بل لقد كان هذا عينه سببا فيما جلبه على نفسه من عقاب أعظم وجزاء عادل . لأنه لا يلىق بنا أن نستعمل الكرامات المعطاة لنا من الله فى معاندته ومقاومته عوض أن تكون لرضائه ومسرته .

أما الذى ينتظر أن يقلت من العقاب العادل لكونه قد نال كرامة مضاعفة فإنه يشبه أحد أولئك اليهود غير المؤمنين الذى بعد ماسمع قول يسوع المسيح : « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية ، وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم .. لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية (يوحنا ١٥ : ٢٢ - ٢٤) .. ياوم المخلص ومنقذ البشرية قائلا : ولم آتيت وخاطبتنا ؟ ولماذا منعت هذه الآيات ؟ هل لكى تعاقبنا أكثر ؟؟ .. لكن هذه هى كلمات الجنون وعدم الافراز . لأن الطبيب الأعظم لم يات ليحكم عليك بالموت بل جاء ليشفيك من مرضك ... ويخلصك من أسقامك .. وانت بمحض

أرادتك تهربت من بين يديه ، فاحتمل اذا ما يصيبك من عقاب ، فقد كان فى مقدورك أن تبرأ من أسقامك السابقة لو أنك استسلمت لعلاج ..

من أجل هذا لا يكون عقابنا قبل اكرام الله لنا وبعده متساويا بل يكون العقاب بعد نيل المواهب أشد ، لأن الذى لا ينصلح بعد الخير الذى يناله فانما يستحق عقابا أكثر . لهذا فقد اتضح أن حجبتك هذه واهية وهى لاتنفع لأن تخلص من يلجأ اليها بل تعرضه للمسئولية أكثر . لهذا فلنلجأ الى وسائل أخرى للنجاة .

**باسيليوس** : خبرنى عن هذه الوسائل ، لانى لم أعد أستطيع الآن أن أملك نفسى وقد أفزعتنى بأقوالك هذه ..

**ذهبي الفم** : لاتغتم ولا تنزعج هكذا .. أرجوك وأتوسل اليك الا تضعف الى هذا الحد . فبينما ننجو نحن الضعفاء بالفرار من هذه الوظيفة المقدسة فإنه يمكنكم انتم الأقرباء ان تخلصوا بالاعتماد على نعمة الله ، وتجنب كل ما لا يتناسب مع هذه الكرامة ولا مع الله معطيها ... ولا يجب علينا أن نلتمس الأعذار لمن لم يسعوا اليها ، لأن هؤلاء أيضا ليس لهم عذر . لأنه فى تقديرى لو دعانا الى هذه الخدمة ربوات من الناس فالأجدر الا نصى اليهم بل نختبر

قلوبنا أولا ، وتنفحص الامر من جميع جوانبه تفحصا دقيقا قبل ان نزعن لالحاحهم . فمن يتجاسر على بناء منزل الا اذا كان مهندسا ...؟! او يتحمل مسؤولية معالجة مريض الا اذا كان طبيبا محتكا ..؟! ولو اضطره الى ذلك الناس فانه يعتذر ولا يخجل من ان يعترف بجهله . فمن يؤتمن على الاهتمام بنفوس الكثيرين أفلا يجلس ليختبر نفسه أولا ؟ ... ولو انه قبل هذه الخدمة المقدسة لالحاح الناس فكيف يهرب واياهم من الشسقاء والهلاك الذى القوا بأنفسهم فيه ؟ وقد كان يمكنه خلاص نفسه ، اما الآن فقد أشرك معه آخرين فى الهلاك .. فمن أين له ان يأمل فى الخلاص .. او ينال الغفران ..؟! ومن سيتشفع لأجله ؟ هل هؤلاء الذين أكرهوه على قبول الوظيفة ؟ بل من الذى سينقذهم فى تلك الساعة الرهيبة وهم فى حاجة الى من يشفع فيهم للنجاة من الجحيم؟!!

وحتى لاتظن انى باقوالى هذه أخيفك بل اعرض عليك حقيقة الأمر ، اسمع مايقوله القديس بولس الرسول الى تيموثاوس تلميذه وابنه الحبيب : « لاتضع يدا على احد بالعجلة ولا تشترك فى خطايا الآخرين » ( ١ تيموثاوس ٥ : ٢٢ ) ...

- ٢ -

وكما انه لايجدى المختارين اعتذارهم قائلين : اننا لم تقدم على هذه الوظيفة من تلقاء انفسنا ... هكذا لا ينبغ من أقاموهم قولهم انهم ماكانوا يعرفون شيئا عن تمت سيامتهم ، بل ان هذا الامر نفسه يكون سببيا فى دنونته اعظم لانهم قدموا من يجهلونهم ... فاذا يجدر بمن يزكى كاهنا ان يتجرى الدقة فى اختياره ، كما يجب على المرشح ان يدقق فى الامر قبل قبوله ... ذلك لانه حتى لو اتخدع الناخبون بتقرير مضلل فالمرشح فلا يمكنه ان يتعلل قائلا : انا اجهل نفسى .. كما يقول الآخرون . وبما انه عتيد ان يعاقب عقابا اشد مما سيفقاه مختاروه أفلا يجدر به ان يدقق فى فحص نفسه أكثر من تدقيقهم هم معه !! وحتى لو أرغموه جاهلين أمره فحرى به ان يستوقفهم ليكشف لهم اسبابه وضعفاته بحيث لايتركهم يتخدعون .. وهكذا اذ يكشف عدم استحقاقه ينجو من تبعات عظيمة بهذا المقدار .

ثم لتأمل كيف انه فى مجالات فنون الحرب والتجارة والزراعة وشتى نواحي الحياة ، لايقوم الفلاح بقيادة سفينة ، ولا يقوم الجندى بحرث الحقل ، او يقوم ربان السفينة بقيادة جيش .. فلماذا لايفعلون هذا ؟ اليس لوضوح الامر عندهم ، وأدراك مدى المخاطر التى يتعرضون

لها بتدخلهم في أمور لا دراية لهم بها ؟ حسنا فان كان  
 الخسائر التافهة تستلزم كل هذا التدقيق في الفكر  
 وتجعلنا نرفض الاذعان لاي ضغط أو اجبار ، فكم تكو  
 حاجتنا ان كان العقاب ابديا كما هو الحال لمن لا يعرف  
 كيف يدبرون شئون الكهنوت ويتجاسرون على قبوله  
 افنتقم انفسنا في خطر داهم ثم نتعلل باننا اجبرنا على  
 ذلك .. ؟! ان الديان العادل لن يقبل منا مثل هذا  
 الاعتذار .. ولهذا ينبغي ان نبدي حرصا في الامور الروح  
 اكثر من العالوية . اما نحن فيبدو اننا لانظهر هذا الحرص  
 اللازم اذ اخبرني : لو افترضنا في رجل انه بناء ماهر  
 بينما هو في الحقيقة غير ذلك - ثم كلفناه ببناء بيت فاطاغ  
 وحين استعمل خامات البناء ائلف الخشب والحجر ، و  
 ان بنى البيت تساقط انقاضا .. اترى انه يكفي له  
 الرجل ان يعتذر بانه اضطر الى ذلك ارضاء لمن ارغمه ،  
 لم يتقدم لهذا العمل طواعية ؟! لقد كان الاحرى به  
 يرفض الامر حتى لو دعاه الناس . فان كان من يت  
 الحجارة والخشب فقط لاينجو من العقاب ... افينف  
 منه من يهلك النفوس التي هي هياكل الله ، او من يبن  
 بغير اكرثاث ويظن ان اجبار الغير له ينقذه من المسئولية  
 ... على اني تفاعلت عن حقيقة انه لايمكن لانسان ان ي  
 آخر على ما لايريد .. ولكن ان سلمنا جدلا بانه قد  
 تحت ضغوط شديدة ومكائد شتى خبيثة حتى وقع

المصيصة .. فهل ينقذه هذا اذا من العقاب ؟ فانا اطلب  
 اليكم الا نخدع انفسنا وندمي باننا نجهل ماهو واضح  
 وجلي حتى للأطفال الصغار ... فلاشك ان الادعاء بالجهول  
 ان يقيدنا يوم الحساب ، لانه كيف يتفق انه لما لم يكن هناك  
 من يستدعيك الى الخدمة كنت تعتقد انك ضعيف ، ثم لما  
 وجد من هم على استعداد لتقديمك الى هذه الكرامة صرت  
 نجاة كفاء ، ووجدت نفسك صالحا لها ؟! انه لامر مثير  
 للسخرية . لاجل هذا يعلمنا الرب ان من يريد ان يبنى  
 برجا ينبغي ان يجلس أولا ويحسب النفقة هل عنده مايلزم  
 لكماله . ثلا يضع الاساس ولا يقدر ان يكمل ، فيبتدى  
 جميع الناظرين يهزأون به ( لوقا ١٤ : ٢٨ ، ٢٩ ) . وان  
 كان عقاب هذا الرجل قد اقتصر على السخرية والاستهزاء  
 به ، فان الامر سيكون بالنسبة اليينا دودا لايموت ، ونارا  
 لا تطفأ ( اشعياء ٦٦ : ٢٤ ) وصرير اسنان ، وظلمة خارجية ،  
 وقطع ، ونصيب مع المرائين ( متى ٢٤ : ٥١ ) ...

فليس الامر متعلقا بتدبير قمع او شعير ، ثيران او غنم  
 او شيء آخر من هذا القبيل ، بل انه يختص بجسد  
 المسيح ذاته . لان كنيسة المسيح هي - كما يقول بولس  
 الرسول - جسد المسيح ( كولوسي ١ : ١٨ ، ٢٤ ) ويجدر  
 بمن اوتمن عليها ان يقودها ليحفظ لها السلامة والعزة ،  
 وان يرصد سائر الجهات حتى لا يصيبها دنس او غضن

الملائم للشفاء ... فبقوة التعليم يمكن ان نهض النفس اذا سقطت ...

ومتى مرضت النفس بمرض التعاليم الزائفة والمعتقدات الدخيلة فحتاج حينئذ الى قوة الكلام والأقوال ، ليس من أجل حراسة نفوسنا فحسب بل لمجابهة الأعداء . لأنه وان تقلد الانسان سيف الروح ودرع الايمان الى حد صنع المعجزات ، وبواسطة هذه العجائب يسد افواه المخالفين السفهاء ، ففي ذلك الوقت قد لا يحتاج المرء كثيرا الى قوة الكلمة ... ومع هذا فانه حتى في عصر المعجزات لم تكن الكلمة بغير فائدة بل ضرورية وحيوية . فبولس الرسول نفسه رغم انه كان محل اعجاب في كل مكان بما يصنع من معجزات ، كان يلجأ الى التعليم والحوار . ويحثنا رسول آخر من بين التلاميذ على اكتساب هذه القدرة لتكون « مستعدين دائما لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم ( ابط ٣ : ١٥ ) . وما كان اجماع الرسل على ترك أمور العناية بالأرامل لاسطفانوس الا لكي يتفرغوا هم لـ « خدمة الكلمة » ( أعمال ٦ : ٤ ) ونحن نحتاج الى أن نسلك نفس النهج ، الا ان كانت لنا القدرة على صنع المعجزات وهو الأمر الذى لم يبق لنا منه شيء بعد أن صار العدو يحاصرنا بمحارباته من كل جانب ..

(افسس ٢٧:٥) أو يشينها شيء يشوه بهاءها وقوتها - و يحرص بقدر ما يستطيع من قوة بشرية على ان يحفظ ما يليق بهامتها المقدسة عديمة الفساد . واذا كان الراغب في بلوغ مستوى من اللياقة البدنية يحتاجون الى الاطباء والمدربين الرياضيين والى التغذية السليمة والمران الدائم والوف اخرى من القواعد ... فكم بالحري يكون الاطباء مع الذين يهتمون بالجسم الذى لا يصرع مع لحم ودم مع قوات غير مرئية - فكيف يمكنهم ان يحفظوه سليما معافى ؟؟ ..

- ٣ -

او تجعل ان هذا الجسم معرض لأمراض وحملات بائسة من جسدنا هذا اللحمي .. وانه سريع الفساد بغير الشفاء ؟ وان الذين بيدهم علاج الأجساد لديهم ادواء شتى قد تم اكتشافها ، وآلات مختلفة وقوائم تغذية مناسبة للمرضى ، وكثيرا ما كانت طبيعة الهواء في حد ذاتها كانت لشفاء المريض . وهناك أمثلة لحالات نال فيها المريض قسطا ملائما من النوم فأعفى الطبيب من بذل أى جهد اما هذا الجسم فلا يصلح معه شيء مما ذكر ، اذ لا توجد الا وسيلة واحدة لشفائه وهى التعليم بالكلمة . فهذا السلاح الوحيد وقائمة الغذاء الوحيد والجو المناسب

من خرافه ؟ وما جدوى أن يتغلب عليهما كليهما ليسقط  
فريسة بين برائن المانويين **Manicheans** (١) ؟ وإذا برهن  
على تفوقه عليهم يأتي أصحاب مذهب القضاء والقدر  
فيتسللون الى داخل القطيع . ولأنه لا يمكن احصاء كل  
بدع الشيطان ، فانه مالم يكن الراعى بصيرا بدحضها جميعا  
فان الذئب سيستغل احداها ليدخل ويلتهم معظم القطيع .

وفي الحروب العادية نتوقع الفوز بالنصر ومكابدة الهزيمة  
من الجنود الصامدين في ساحة القتال . اما في الحروب  
الروحية فالامر جد مختلف ، لانه كثيرا ماتكون الحرب  
مع قوم لم يحاربوا اصلا او يشتركوا في المعركة على الاطلاق  
ولا تحملوا أى عبء فيها ، وقد يحتفظ الانسان بسكونه  
ويغلب والذي يشهر سيفه بلا خبرة يطعن نفسه بسيفه  
فيصير اضحوكة بين اصدقائه وأعدائه على السواء . ولكي  
اوضح قولى هذا اسوق مثال اولئك الذين يؤمنون بتعاليم  
مارقيون وفالنتينوس **Valentinus & Marcion** (٢) الغريبة

(١) هم اتباع مانى **Manes** او **Manichaeus** الذى ولد عام  
٢٤٠ م وامان ان الله هو علة الخير ، والمادة سبب الشر . وقادته هذه  
النظرية الى الاعتقاد بان جسد المسيح طيف لا مادى . وحذف العهد  
القديم من الكتاب المقدس واستبعد بعض فصول العهد الجديد التى  
تتعارض مع آرائه .

(٢) كلاهما كان مبتدعا لنوع من الفئوسية **gnostic** وفى  
اعتقادهما ان العهد القديم كان اخلاقيا ( ادبيا ) عكس اله العهد

- ٤ -

من ثم ليكن هدفنا ان تسكن كلمة المسيح في داخل  
( كولوسى ٣ : ١٦ ) لاننا لا يجب ان نتأهب لنوع واحد  
المبارك . فهذا القتال متعدد الجبهات ، ويشترك فيه  
اعداء كثيرون ، وليست أسلحتهم واحدة ولا أسلوبهم  
الحرب واحدا . فيتعين على من يحاربهم ان يكون على  
بخطواتهم وحيلهم ... صحيح انه في الحروب العسكرية  
يقوم كل فرد بعمل من الأعمال وفاء بالواجب المعين اليه  
يتولاه ، لكن ليس الأمر في حروبنا هذه فمن يترجى الف  
والقلبة عليه ان يتفهم كل فنون الحرب وخدعه ،  
ابليس يعرف جيدا كيف ينفذ الى مهاجميه من أى  
ترك بغير حراسة ويختطف الخراف سرا ، لكن  
يختلف ان ادرك ان الراعى قد احكم حراسة كل الن  
وعرف كل حيله ودراماته . لأجل هذا ينبغي ان نتح  
من كل جانب لان المدينة المحصنة التى تحيط بها الأس  
تستهزىء بمحاصريها وتعيش في امان ، فان صنع المر  
في سورها ثغرة مهما صغرت فلا تنتفع شيئا بعد ذلك  
تبقى من الأسوار ، حتى وان بقيت قائمة بأحكام . ه  
الحال في مدينة الله متى شملتها بقطة راعيها وح  
وحاصرتها كالحصن المنيع من كل جانب فجميع  
الاعداء ومكائده تبوء بالفشل ... فما النفع ان تص  
الراعى لبدع اليونانيين اذا كان اليهود يقتنصون ض

فإن جميع المرضى بتعاليم أمثال هؤلاء يسقط الشريعة التي سلمها الله لموسى من بين الكتب المقدسة أما اليهود فيقدسون هذه الشريعة حتى بعد أن جاء الزم الذي أبطلت فيه ، وما زالوا يتمسكون بحرفيتها مخالفين إرادة الله . أما الكنيسة فهي لكي تتجنب كلا التقيض سلكت طريقا وسطا ، فلا هي خضعت تحت نير الناموس ولا هي نبذته أو نقضته بل توصى به رغم انقضاء عهد لأنه كان نافعا في وقته . فحرى بمن ينوى محاربة العذوب ( اليهود والغنوسيين ) أن يسلك طريق الوسط ، لأنه انتقد اليهود لتمسكهم بالشريعة القديمة فانه يسقط خطأ لا يغتفر ، لأنه بهذا يعطى فرصة للهراطقة ينتهزها الذين يبتغون تمزيق الناموس تمزيقا ، وأن سعى في حماس إلى افحام الهراطقة فيمجد الناموس بافراط ويتحدث عنه باعجاب فالفرصة هنا تكون لليهود . كذلك الحال مع الذين يتبعون جنون سابليوس Sabellius ولوثة

أريوس Arius (١) اللذين سقطا بعد ايمان صحيح لعدم اتباعهما طريقا وسطا . وكلاهما ينتسب اسما إلى المسيحية ولكن الباحث لتعاليمهما يكتشف انهما من شيعة ليست افضل من اليهود وأن اختلفا عنهم في الاسم وحده ، ويجد ان الاربوسيين يؤمنون تقريبا بهرطقة بولس السموساطى Paul of Samosata وكلاهما قد حاد عن الحق وجانب الصواب . فما اشد الخطر الذي ينشأ عن هذه الحالات ، وما اضييق طريق الارثوذكسية وأحرجه ، فهو محاصر بالصخور على كلا جانبيه ، وهناك خوف ليس بقليل اذا حاول الانسان أن يضرب عدوا في أحد الجوانب فانه قد يعصاب من الجانب الآخر . فلو أثبت انسان وحدة اللاهوت سارع سابليوس إلى استغلال هذا التفسير لصالح أوهامه (٢) متمديا الناموس . وأن ميز بين الاقانيم وقال بأن الأب واحد والابن آخر والروح القدس ثالث ، يقف اريوس ليؤول هذا التمييز بين الاقاليم إلى خلافات في

(١) انهم سابليوس Sabellius في مجمع رومية عام ٢٦٣ م بأنه يقول ان الثالث شخص واحد ، وأن الكلمة والروح القدس هما مجرد فضائل أو انبثاق اللاهوت . أما اريوس فيقول بأن ربنا يسوع المسيح كائن قبل تجسده وان بواسطته كما باله صنع الله العالم باعتباره أسمى وأقدم المخلوقات .

(٢) اذا اعترف انسان بوحدة الثالث مناقضا الاربوسيين قد يتزلق في خطا السابليين Sabellian بشأن الخلط بين الاقانيم .

الجديد . وبينما كان ميذا فالنتينوس Valentinus يمثل الجانب الخيالي والنظري للذهب الغنوسية كان رأى مرقيون Marcion يمثل الجانب العملي منه وكان دينها اكثر منه لاموتيا .

الجوهر (٢) فحرى بنا أن نبتعد ونهرب من بدعة الخطط بين الأقاليم من جانب وبدعة تقسيم الجوهر من جانب آخر ، بل نفترف بلاهوت واحد لآب وابن وروح قدس كتلاثة اقانيم فنحصن أنفسنا أمام محاربات كافة الهرطقات

- ٥ -

ولا يمكن اغفال ثرثرة ذويتنا وخصصاتنا ، فهي ليست بأقل من الحملات التي تشن علينا من الخارج فضلا عن أنها تثقل كاهل الراعي بأعباء اضافية . فكثيرون يفهمون حب الفضول الرخيص الى أن يشغلوا أنفسهم بأمور ليس من السهل عليهم تفهمها ، والتي ان عرفوها لاتجديهم شيئا . وآخرون يطالبون الله بأن يقدم حسابا عن احكامه ويقحمون أنفسهم في فحص أعماق تلك الهوة العميقة التي يقول عنها النبي « احكامك لجة عظيمة » ( مزمور ٣٦ : ٦ ) وقليلون هم الذين يعنون بالسؤال عما يتعلق بالايمان ، ولا من يهتم بترجمة ايمانه الى اعمال وسلوك ، فالأكثريه يهتمون بالبحث في أمور لايمكن الكشف عنها ، ومجرد فحصها يثير غضب الله . لاننا حين نصر على معرفة مالايريد الله كشفه لنا فاننا لانحظى بنتيجة - اذ كيف يمكن أن نحقق هذه المعرفة على غير ارادة الله ؟؟ وهؤلاء اذا ما اراد

(٢) أى اذا ميز الاقانيم على عكس السابليين ، كان عليه ان يتيقظ امام خطا الإريوسيين الخامس بتقسيم الجوهر ايضا .

انسان أن يشبههم عن بحثهم في مثل هذه الأمور غير المدركة سارعوا الى اتهامه بالفرور والجهل ، لهذا كان حريا بالرأى أن يكون حكيما حتى يتبعد عن الخوض في مثل تلك الأسئلة غير المجدية دون أن يعرض نفسه للوم . وبالاختصار فان مواجهة هذه الصعوبات تحتاج الى قوة الحججة ، فمتى عدم الكاهن هذه المقدرة تعرضت أنفس رعيته ( اعنى الضعاف منهم والفضوليين ) الى مصير سفن تلاممها الريح ...

- ٦ -

**باسيليوس** : اذا لماذا لم يشتاق بولس الرسول الى أن يكون كاملا في صناعة الكلام ؟ وهو لم ينكر عدم اتقانه لها بل يعترف صراحة بذلك في رسالته الى أهل كورنثوس ( ٢ كو ١١ : ٦ ، ١٠ : ١ ) الذين كانوا يتفاخرون بفصاحتهم .

**ذهبي الفم** : هذا هو نفس الامر الذى اهلك كثيرين وجعلهم يتراخون في دراسة ايمانهم ، لأنهم لما لم يستطيعوا بلوغ أعماق فكر الرسول وتفهم غاية كلماته ومعناها قضاوا عمرهم نائمين متثائبين قانمين بهذا الجهل الذى كان الرسول بولس يريثا منه . فلنؤجل كلامنا في هذا الموضوع الى الوقت المناسب ونأمل الآن مايتى : اذا سلمنا أن الرسول بولس كان عاميا في هذا الأمر كما يدعون فماذا ينتفع رجال زماننا من ذلك ؟ لانه كانت لديه قوة العمل

التي تفوق بكثير قوة الكلام . ان مجرد تواجد الرسول ، ولو بقى صامتا ، كان يربع الشياطين . ولكن رجال اليوم او اجتمعوا جميعا في مكان واحد ورفعوا صلوات لانهاية لها وذرّفوا دموعا غزيرة فلن يقدرّوا أن يفعلوا من المعجزات ما فعله مندبل بولس الرسول . أما صلواته ، فأقامت الميت ( ١ ع ٢٠ : ١٠ ) وصنع معجزات أخرى حتى كان الأعميون يتخذونه الها ( أع ١٤ : ١١ ) وقبل انتقاله من العالم استحق ان يختطف الى السماء الثالثة ويسمع ما لم تسمع به أذن ( ٢ كو ١٢ : ٢ - ٤ ) أما رجال اليوم ( ولا أشاء ان أذكرهم بسوء او أن أهينهم بل أتعجب منهم ) فكيف لاتقشع أبدانهم حين يقارنون انفسهم بمملاق مثل هذا ، لأننا لو تركنا تلك المعجزات جانبا وتناولنا حياة هذا القديس المبارك وتمعنا في حديثه الملائكي فاننا نجد هذا البطل ظافرا لامعا في سيرته أكثر منه في معجزاته . اذ كيف يمكن للمرء أن يصف غيرته وقوة احتماله ؟ وبماذا نعت مخاطرته المترادفة ، واهتماماته المتصلة ، وانشفاله الدائم بالكنائس ، وتعاطفه مع الضعيف ، وأحزانه الكثيرة ، واضطهاداته غير العادية ، وميتاته اليومية ؟ وأى بقعة على الأرض ، وأى فارة أو بحر لم يشهد أعمال هذا الرجل البار ؟ بل حتى الصحراء عرفته لأنها كثيرا ما أظلته في ساعات الخطر ، فقد واجه كل ألوان المحاربات وظفر بكل فن من الفنون، حتى لم تكن هناك نهاية لمحارباته وانتصاراته!!

ومع هذا فاني قد انتقصت من قدر هذا الرجل دون قصد مني ، لأن مآثره وفضائله تعلو على كل وصف ... ولكني أسجل أمرا آخر يفوق جميع ما أوردته بقدر ما كان يتفوق هو على جميع أترابه : أنه بعد تلك المناقب وهذه الانتصارات العديدة تمنى ان يلقي في جهنم ويسلم الى عقاب أبدي ان كان في هذا ما يجعل اليهود - الذين كثيرا ما رجموه وخططوا لاعدامه - يخلصون ويرجعون الى المسيح ( رو ٩ : ٢ ) . فمن من الناس أحب المسيح هكذا ؟ فهل يليق بنا اذن أن تقارن انفسنا بهذا القديس ، بعد هذا الفيض من النعم التي وهبت له من فوق ، وبعد كل هذه الفضائل التي تحلى بها ؟! ومع هذا فانه لم يكن عاميا كما يعده البعض ، فالعامي في تقدير الناس ليس فقط من لا يتقن الفصاحة بل من لا يتصدى للدفاع عن الايمان الصحيح .. أما القديس بولس فلم يزعم أنه كان عاميا في المجالين وإنما في واحد منهما فقط ، فيقول أنه كان « عاميا في الكلام وليس في العلم » ( ٢ كو ١١ : ٦ ) ... وحتى اذا فرضنا أن الرسول كان فقيرا في الكلام وكان انشؤه بسيطا الا أنه لم يكن اميا في المعرفة ...

### - V -

والا فكيف أفحم اليهود القاطنين في دمشق ( أع ٩ : ٢٢ ) حينما لم يكن بعد قد بدأ يجرى المعجزات ؟ وكيف صارع اليونانيين وتغلب عليهم ؟ ( أع ٩ : ٢٩ ) .. ولماذا أرسل



ولم فاق هذا الرسول باقى الرسل ؟؟ ومن اين ذاع خبره على كل لسان من اقصى الارض الى اقصاها ؟ . . . اليس هذا من قوة رسائله التى انتفع بها ليس المؤمنون المعاصرون له فحسب بل كافة المؤمنين منذ زمانه وحتى الآن بل والى مجيء المسيح ، لان رسائله هى بمثابة سور شديد من الصخر واحاط كنائس العالم . . وهو كبطل شجاع يسبى كل عقل لطاعة المسيح نابذا الخيالات وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ( ٢ كو ١٠ : ٥ ) وكل هذا يتم بواسطة الرسائل التى خلفها لنا ، والتى هى مملوءة بالحكمة الالهية . وكتاباته نافعة لنا فى دحض الآراء الفاسدة وتثبيت الايمان الصحيح وبلوغ حياة افضل . .

- ٨ -

فاسمع ما يقوله فى وصيته الى تلميذه تيموثاوس : « اعكف على القراءة والوعظ والتعليم » ( اتي ٤ : ١٣ ) ثم يوضح الثمار بقوله : « لانك اذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك ايضا » ( اتي ٤ : ١٦ ) ثم يقول ثانية : « وعبد الرب لا يجب ان يخاصم بل يكون مترفقا بالجميع ، صالحا للتعليم ، صبورا على المشقات » ( ٢ تي ٢ : ٢٤ ) ثم يكمل قائلا : « واما انت فائت على ما تعلمت وايقنت ، عارفا ممن تعلمت . وانك منذ الطفولية تعرف السكتب المقدسة القادرة ان تحكملك للخلاص بالايمان الذى فى

الى طرسوس ؟ ليس لانه كان قوى الكلام فأخرج مقاوميه حتى أنهم لما لم يتحملوا مرارة الهزيمة دفعهم السخط الى السعى فى قتله !! حينذاك لم يكن - كما سبق القول - قد بدأ يجرى الآيات ، ولا يمكن لأحد أن يقول أن الجماهير أعجبت به لأعماله الباهرة . . . فهو فى ذلك الوقت كان ينتصر بقوة الاقناع فقط . ثم كيف باحث اليهود المنتصرين الذين كانوا فى انطاكية وأفلح فى ردهم ؟؟ والأريوباغى الذى كان يسكن اثينا أشد المدن تمسكا بعبادة الأوثان . . . كيف تبعه هو وزوجته ؟ ( اع ١٧ : ٣٤ ) . . ألم يكن هذا نتيجة الخطاب الذى سمعوه منه ؟؟ . . . وكيف كان يعمل فى تسالونيكي وكورنثوس وأفسس بل وفى روما ذاتها ؟؟ ألم يقض إياما وليال بطولها فى تفسير الكتب المقدسة لهم ؟؟ وماذا تقول عن جداله مع الابيكوريين والرواقيين ( اع ١٧ : ١٨ ) ؟؟ فلو أخذنا فى تفصيل جميع محاوراته ومخاطباته لاسهنا فى كلامنا اسهابا زائدا . فاذا كان قد وضع أن بولس الرسول كان يستخدم الحوار والجدال قبل قيامه يصنع المعجزات أو بعدها ، فكيف يتجاسر انسان على أن يصف من كانت مواعظه ومحاوراته موضع اعجاب كل سامعيه بأنه كان عاميا ؟؟ ولماذا ظنه « الليكاؤنيين » أنه كان هرمس ؟؟ ( اع ١٤ : ١١ ) صحيح أن الاعتقاد فى أنه هو وبرنابا كانا آلهة قد نشأ عندما رأوا معجزاتهما ، لكن الاعتقاد بأنه كان هرمس لم يصدر عن المعجزة بل عن اقتداره فى الكلام . .

المسيح يسوع» ( ٢ تى : ١٤ ، ١٥ ) ثم يقول : « كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر ، لئى يكون انسان الله كاملا ( ٢ تى : ٣ : ١٦ ، ١٧ ) وفى توجيهاته الى تيطس بشأن اختيار الاساقفة يقول : « يجب أن يكون الاسقف بلا لوم كوكيل الله ... ملازما للكلمة الصادقة التى بحسب التعليم ، لئى يكون قادرا أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناققين ( تيطس ١ : ٧ ، ٩ ) ... فكيف يستطيع من هو عامى - كما يدعى أولئك المدعون - أن يفهم مناقضيه ويسد افواههم ؟؟ ... ورب قائل يقول أن الرسول لم يقصد بهذه الوصايا الا الكهنة لانهم بالتاكيد هم محور حديثه .. لكن اسمع الرسول بوجه نفس وصاياها الى العلمانيين ايضا فيقول فى رسالة أخرى لمن هم من غير الكهنة : « لتسكن فيكم كلمة المسيح بغيرى ، وانتم بكل حكمة » ( كولوسى ٣ : ١٦ ) وايضا « ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحا بملح ، لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد » ( كولوسى ٤ : ٦ ) وبوجه وصية عامة للجميع حتى يكونوا « مستعدين دائما » لمجاوبة كل من يسألهم عن سبب الرجاء الذى فيهم ( ١ بط ٣ : ١٥ ) . واما أهل تسالونيكى فهو بوجه نظرهم قائلا : « عزوا بعضكم بعضا ، وأبنوا أحداكم الآخر كما تفعلون ايضا » ( ١ تى : ٥ : ١١ ) وحين يتكلم عن الكهنة يقول : « أما الشيوخ المدبرون حسنا فليحسبوا

أهلا لكرامة مضاعفة ، ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم » ( ١ تى : ٥ : ١٧ ) فهذا هو كمال التعليم أن يقود المعلمون تلاميذهم بأعمالهم وأقوالهم الى الحياة المقدسة التى رسمها المسيح لهم . لأن القدوة وحدها لا تكفى لتوجيه الآخرين - ولست أقول هذا من عندى فهى كلمات المخلص نفسه لانه يقول : « من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما » فلو أن العمل كان تعليما لما كانت هناك ضرورة لاضافة الكلمة الثانية واكفى بالقول « من عمل » فقط . أما وقد فصل بينهما فتأبث أنه يريد أن يؤكد أن الأعمال شئ والتعليم شئ آخر ، وأن أحدهما يحتاج الى الآخر . ولنسمع أيضا الى ما يقوله الى قسوس أفسس : « لذلك أسهروا متذكرين انى ثلاث سنين ليلا ونهارا لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد » ( ١ ع : ٢٠ : ٣١ ) . فما حاجته الى الدموع مع الانذار بالكلام مادامت حياته كرَسُول كانت مثالية ؟؟ ان قداسة حياته قد تكفى لاقتناع اناس يحفظون الوصايا ، لكنى لا أستطيع القول أن العمل وحده يكفى لانعام كل شئ .

- ٩ -

فاذا قام نزاع وجدال حول الامور العقائدية وتسليح كل بأسلحته من نفس الكتاب المقدس ، فهل تكفى سيرة اى انسان للبرهنة على شئ ؟؟ وما فائدة النسك والتقشف

ان سقط الانسان بعد تدريباته الشاقة في بدعة من البدع،  
وانشق من جسد الكنيسة بسبب جهل الكاهن بالنقاش  
والحوار ( وهى كارثة عرفت كثيرين عانوا بسببها ) فاية  
جدوى عادت عليه من طول صبره ؛ لا فائدة عادت كما انه  
لا جدوى تذكر عندما يكون الانسان ايمانه صحيحا ولكن  
سيرته فاسدة . من ثم فانه بسبب هذا يلزم لمن تقلد تعليم  
الآخرين ان يتدرب على مثل هذه الجهادات ، لان الرعية  
عندما ترى قائدها مغلوبا لا يقدر ان يجاوب مناقضيه ،  
لا ينسبون انهزامه الى ضعفه بل الى عدم سلامة عقيدته  
وهكذا ينزلق كثيرون الى الهلاك بسبب عدم خبرة الراعى  
... وربما يشكون فيما كانوا يؤمنون به من قبل ...  
كم هى شقاوة هذا الراعى ، وكم هى مخيفة النار التى  
يضعها على رأسه المسكينة نظير كل نفس يضعها هكلدا  
... واما انت فلا تحتاج الى أن تتعلم منى هذا لانيك عالم  
به جيدا ... فان كنت احرص الا اكون سبيا في هلاك مثل  
هذه النفوس والا اسبب لنفسى عقابا اشد من المدخر لى  
هناك فى الحياة الابدية أفىكون هذا كبرياء منى وغرورا ؟

## الكتاب الخامس

لقد أوضحنا بما فيه الكفاية كم يحتاج المعلم في نضاله من أجل الحق الى مهارة وخبرة . ولى مع جملة ما ذكرت أمر ينبغي أن أوردته بسبب ما ينشأ عنه من مغاظر لاحصر لها ..

هذا الأمر هو الجهد العظيم الذى يبذل فى أعداد العظات التى تلقى على مسامع الجماهير . وأول ذلك أن غالبية السامعين لا يهتمون بأن يكون سلوكهم كسلوك التلميذ نحو معلمه ، بل يتعدون دورهم معطين أنفسهم حق الحكم الذى يحكم المباريات الرياضية .. وكما أن الجمهور فى هذه ينقسم الى شيع يتحمس بعضها لفريق وبعضها للآخر ، هكذا ينقسم الناس بالنسبة للوعاظ الى فرق بعضها يؤيدون هذا وآخرون يفضلون الاستماع الى ذلك . وليس هذا هو المستهجن فحسب بل هناك أمر آخر لا يقل عنه قبحا ، لانه متى لجأ أحد الوعاظ الى الاقتباس فى عظاته من كلمات غيره فانه يتعرض للتعير والاحتقار أكثر مما يتعرض له سارق المال . بل وكثيرا مالا يكون قد استعار من كلام غيره ، ولا يعدو الأمر أن يكون مجرد اشتباه ومع هذا فهو يعانى ما يعانىه الص ..

فالوعاظ اذن يحتاج الى سمو فى الفكر يفوق حقاقتنا لكى يقود الشعب الى طريق افضل للاستماع ، فيتابعونه

**اولا** - الكرازة تحتاج الى درس وجهد كبيرين ،

**ثانيا** - من يتصدى لهذا العمل يجب أن يرفض المديح ، وأن يكون متمكنا من الخطابة .

**ثالثا** - اذا لم تتوفر لديه هذه القدرات فلن يستطيع خدمة الشعب .

**رابعا** - فوق كل شيء ينبغى أن يطرح الأحقاد والقييل والقال .

**خامسا** - المتمكن من الخطابة والوعظ يحتاج الى الدرس أكثر من غير المتعلم .

**سادسا** - يجب ألا يستهن بحكم الجمهور ، أو يببالغ فى التعلق به .

**سابعا** - يجب ألا يرتجى من كلماته سوى مرضاة الله وحده .

**ثامنا** - الذى لا يرفض المديح يعانى آلاما كثيرة .

ويستجيبون له ... ولا سبيل الى بلوغ ذلك الا بوسيلتين :  
الازدراء بالمديح والقدرة على الوعظ الجيد . (١)

- ٢ -

لانه ان افتقر الى احد هذين العنصرين اصبح العنصر  
الآخر غير نافع ، لانه متى ازدرى الواعظ بالمديح ولكن  
لم يتمكن من أن يعلم بحسب كلام الكتاب « ليكن كلامكم  
كل حين بنعمة مصلحا بملح » ( كولوسى ٤ : ٦ ) فقد صار  
محتقرا من الشعب . وان نجح كواعظ لكن غلبه حب  
المديح فالضرر يلحقه كما يلحق بشعبه ، لانه بسبب  
اهتمامه بالمديح يحرص ان يتكلم بهدف الارضاء وليس  
الافادة . وكما ان الذى لا يتقن الكلام لا يفوز برضا  
الشعب ، وفي الوقت عينه لا يقدم لهم شيئا يذكر لانه ليس  
لديه ما يقوله ، هكذا من يسيطر عليه حب المديح فانه رغم  
قدرته على تقديم خدمات جليلة للشعب ، فان عوض ذلك  
يقدم لهم الغذاء الذى يروقههم مفضلا ان يشتري بذلك  
ضجة الهتاف .

(١) كانت عظام ذهبى اللفم كثيرا ما تقاطع بالتصفيق ، امر الذى  
كان هو يربخه بعنف :

- ٣ -

لذلك فان افضل الكهنة هو من تمكن من التاحتين ،  
بحيث لا تطفى احدهما على الأخرى . لانه اذا وقف بين  
المصلين ليعظ بكلمات يقصد بها اثاره الرهبة في قلوب  
المتهاونين ، ثم تمثر وتوقف وأحمر خجلا لثقله بضامته ،  
ففى الحال تذهب ثمار كلامه هباء ... لأن الذين كان  
يزجرهم ... يلجأون الى معارضة والتهمك من جهله ،  
ظانين أنهم يسترون بذلك عيوبهم . من ثم ينبغى له أن  
يدرك قدر هذين العنصرين كى يتناولهما بحسب الحاجة  
.. لانه متى كان بغير لوم في أعين الجميع ، فانه يستطيع  
بماله من سلطان ان يعاقب او يصفح عن هم ضمن رعيته  
.. والكمال الروحى لا يتمثل في ازدراء المديح فحسب بل  
ينبغى ان يزدري بأشياء أخرى ..

- ٤ -

والاشياء الأخرى التى يلزم أن يزدري بها هى :

الوشاية والحقد والحسد ، لانه لا يكفى عدم خوف  
الراعى أو صبره عما يقال عنه من كلام شرير بغير حق ..  
بل ينبغى الا يهمل ذلك رغم زيف الكلام .. وجميل به أن  
يحاول اخماد المثالب فوراً . لانه ليس شئ يزيد في انتشار  
خبر شرير أو صالح مثل الخارجين عن النظام ، لانهم يحكم

تعوذهم السماع ونقل الكلام بغير ترو أو تحقيق يرددون عشوائياً كل ما يصادفهم ، بغض النظر عن مدى صدقه . لهذا لا يسوغ تجاهل الشعب ، بل يجب المبادرة الى حسم ظنونهم وهى بعد فى مهدها ومحاولة اقتناع المشتكين عليه مهما كانت صفاتهم ، دون أن يتركهم لظنونهم الردية ، أما ان فعل الكاهن كل هذا دون جدوى فحينئذ يجب أن يتركهم ولا يعبأ بهم . . لأنه متى تأثر الانسان بهذه العوارض فلن يقدر فى وقت من الأوقات أن يقدم عملاً طيباً أو يأتى بأمر عظيم ، لأن اليأس والاهتمام الدائم كفيلىن بتدمير القدرات العقلية واضعافها غاية الضعف . هكذا جرى بالكاهن أن يتصرف نحو رعيته كما الوالد نحو اصغر أطفاله . وكما أن الوالد لا يابى لاهانات أطفاله أو ضربهم أو بكائهم ، هكذا يجب أن يكون حال الراعى مع رعيته فلا يعبأ بمديحهم ولا يكتئب ان لاموه بغير سبب . على أن هذا الأمر صعب يا صديقى العزيز ، بل أظن أيضاً أنه من المستحيل الا يبتهج انسان بسماع المديح حين يوانيه النجاح . ومن يسره المديح فانه يتوق الى سماعه ، وما دام يشتهيها فانه يتكدر بالضرورة اذا افتقده . لأنه كما أن المغرمين بجمع المال يحزنون أن فقده . . والذين تعودوا حياة الترف لا يهتمون بحياة التقشف . . . هكذا عشاق المديح والتصفيق فانهم يكتبون ليس فقط حين يهتمون باطلا بل متى تناقصت قصائد المديح والتقريظ ، ويصبحون كمن اصابتهم مجاعة

يشعرون معها بالضياح ، ولا سيما ان كانوا قد تعودوا على سماع المديح . . فكم من المضايقات تجل بالذى يدخل الى ميدان الوعظ ولديه مثل هذه الرغبات !! لأنه كما أن البحر لا يمكن أن يكون بلا أمواج هكذا نفس محب المديح لا يمكن أن تخلو من الهموم والأحزان .

- ٥ -

لأنه متى كان الواعظ ذا مقدرة عالية ، . . فانه سيخسر هذه المقدرة اذا لم يعمل على نموها بالممارسة والتدريب المتصل ، حتى أنه يقال ان التعب الذى يبذله المثقف أعظم من التعب الذى يبذله غير المتعلم . . لأن خسران المثقفين أعظم بمقدار الفرق بين ثقافة كل منهما . لأن غير المتعلمين لا يلامون اذا لم يقدموا شيئاً يستحق التقدير ، أما المعلمون فانهم اذا لم يقدموا دواماً مادة تفوق الظن بهم فما أكثر اللوم الذى يلحقهم من كل جانب . وغير المتعلمين يمدحون لأقل عمل يقدمونه أما جهود الحكماء فاذا لم تكن ممتازة فهى تقابل بكثير من متصيدي الأخطاء . لأن المستمعين يقيمون من أنفسهم حكماً ليس فيما يقال فقط بل فى مستوى القائلين ومقدارهم ، فمن ثم متى برع انسان وفاق جميع أقرانه فى الخطابة فانه دون الباقيين يحتاج الى دراسة كادحة واجتهاد متواصل . . فاذا لم تتناسب عطائه مع عظم شهرته ، فلن يفوز الا بالتهمك والانتقاد دون

صدر ، وأن يغفر لمرتكبيها ، ويبكى من أجل فاعليها باعتبارهم مساكين يستحقون الشفقة . لأنه متى قام فنان بارع ومشهود له برسم لوحة والإبداع فيها ، ثم جاء جاهل واستهزا بها فان الفنان لا يكتب ولا يفعل . . ولو جاء من لا يفهم في الفن ولا يتذوقه واستحسن لوحة حقيرة فلا يجوز للفنان ان ينساق وراء حكم الجاهل .

### - ٧ -

لأن الفنان الفاضل يكون ناقدا لنتاجه ، وهو الذي يقرر ان كان جيدا أو رديئا دون اعتبار لما يصدره غير الفنيين من أحكام وآراء خاطئة وغير فنية . فحري اذن بمن يؤتمن على التعليم الا يعبا بمدح الناس او يتخاذل بسبب كلامهم ، بل يعنى بأن تكون عظاته وأقواله من أجل مسرة الله ( وليكن هذا وحده رائده وهدفه وليس استجداء المدح والاعجاب ) فان مدحه الناس لا يثائر ، واذا لم يمدحوه فلا يسمى هو الى ذلك ولا يكتب ، اذ يكفيه عزاء ان يشعر انه يدبر ويقوم بالتعليم من أجل مسرة الله .

### - ٨ -

فاو جرفته شهوة المديح فلن يجنى من اعماله ثمسارا ولا يتفع من قدرته على الوعظ . لان النفس غير القادرة على احتمال الانتقادات الباطلة ، تغلبها الكتابة وتطرح كل

ان يلتمس له عذر . . مع انه لا يعدو ان يكون بشرا لا يمكن ان يبقى على حال واحدة على الدوام ، او يواتيه النجاح في كل الأحوال ، بل من الطبيعي أن يهفو أحيانا ويبدو في اقل من مستوى قدراته أحيانا أخرى ، لكنهم لا يقدررون شيئا من هذه الاعتبارات ويحاسبونه على أخطائه كأنهم يحاكمون ملاكا لا بشرا . فمن شأن الانسان أن يتجاوز من فضائل ابن جنسه مهما كثرت أو عظمت ، وان بدا منه عيب ، ولو كان عرضيا أو حتى في أوقات متباعدة ، فحالا ما يلاحظه ويذكره دائما . . وهكذا كثيرا ما تقلل هذه الأمور التافهة والصفيرة من عظمة أعمال كبيرة .

### - ٦ -

هكذا ترى ايها الصديق العزيز أن القدير في الوعظ يحتاج الى الدرس أكثر من غيره . ومع اجتهاده يحتاج ايضا الى سعة صدر وقوة احتمال أكثر من أى انسان آخر، لان هناك دائما من يهاجمونه يدفعهم في هذا غرور وعدم احساس . . . ويتحتم عليه هو ان يحتمل حقدهم بنبل ، لانهم اذ لا يستطيعون اخفاء كراهيتهم المرة التي يضمرونها له بغير اعتدال يشتمونه ويوبخونه ويفترون عليه في الخفاء ويشهرون به علانية . . والنفس التي تتألم وتثور من كل ما ذكرنا ، لا تلبث أن تفسد من الألم والحزن . . وعلى الواعظ أن يهء نفسه لمواجهة مثل هذه الضيقات بسعة

اهتمام بالوعظ . من أجل هذا فإنه من الضروري أن يلزم نفسه بتدريب على الازدراء بكل أنواع المديح . لأنه لا يكفي أن تعرف الوعظ لكي تحافظ على القدرة عليه أن لم تطرح حب المديح . فإن أراد انسان أن يتعمق في البحث فسيجد أن حاجة الواعظ غير الموفق الى فضيلة اللامبالاة بالمديح ليست بأقل من حاجة الواعظ البارع اليها . وأن الضرورة تدفعه الى ارتكاب كثير من الأخطاء بسبب خضوعه لرأى العامة ، لأنه اذا عجز عن الارتفاع الى مصاف الواعظ المشهورين فإنه لا يكف عن اغتيالهم وادانتهم بغير سبب ، ويرتكب أعمالا مشينة كثيرة ، بل يجسر على أى شئ ولو أدى الى تدمير ذات نفسه من أجل أن يهوى بهم الى مستوى تفاهته . فضلا عن هذا فإنه يكف عن جده واجتهاده في العمل ، ويترك عقله يذهب في سبات عميق طالما أنه لم يفز من وراء كده الكثير بما يشبع نهمه في المديح . لأن الفلاح متى كان عمله في أرض بور أو صخرية ، فإنه قد يكف عن مواصلة حرثها مالم يسيطر عليه اهتمام خاص بالأمر أو يخشى من مجاعة تهدده . لأنه أن كان القادرون على الوعظ بمقدرة كبيرة يحتاجون الى مران دائم لحفظ هذه المهبة فمن لا يملك شيئا في هذا المجال كم يلقى من صعوبات ومتاعب ؟ وكم يعاني من قلق حتى يمكنه جمع قليل من الأفكار ؟ وان كان أحد أفراد الاكليروس الذين تحت سلطانه ، والذي يعتبر في مركز أقل يتميز عليه في

القدرة على الوعظ ، فكم يحتاج الكاهن الى حكمة يتحلى بها من أجل الا يتملكه الحسد أو ينتابه اليأس ؟ لأنه كي يكون الانسان في مركز سام ثم يتفوق عليه من هو دونه في المرتبة ويحتمل هذا في نبل ، فإن هذا ليس في طاقة النفس العادية أو في طاقتي بل هو من عمل النفس الماسية . فان كان هذا الكاهن صبورا ومتواضعا ، كانت معاناته لمثل هذا الموقف محتملة . . أما ان كان جسورا متفاخرا ومتكبرا ، فإنه سيستهي الموت يوميا طالما أن هناك من يمرر حياته ويهيئه مواجهة ويسخر منه في غيابه ويقتصب الكثير من سلطانه وهيبته . أما من يستمتع بطلاقة في الوعظ فهو يشعر بسلام عظيم في كل هذه الظروف نتيجة اصغاء الجماهير اليه والتفافهم حوله . أما عرفت مقدار الشغف بالوعظ الذي سيطر على نفوس المسيحيين في هذه الأيام ؟ وأن خدام الكلمة يحظون بالتكريم ليس بين الكفار فقط بل بين أهل الايمان ؟ فكيف يستطيع انسان أن يحتمل عارا هذا مقداره اذ يعلم أنه عندما يعظ يصمت الجميع على مضض متلهفين الى نهاية عظته كما يتطلعون الى الراحة بعد التعب ، بينما يصفون الى آخر بشغف مهما طالت عظته ، ويأسفون اذا اقترب من ختام عظته بل يفضبون عند نهاية حديثه ؟!! فاذا كانت هذه الأمور تبدو في نظرك هينة يمكن الاستهانة بها فانما يرجع هذا الى عدم خبرتك . . أما هي فكافية لأن تخمد الحماس وتصيب قدرات العقل



بالشلل مالم يخل الانسان نفسه من كافة العواطف الانسانية  
ويدرس كيف يشكل سلوكه بحسب الأسلوب الروحي  
الذي لا يتأثر بالحسد أو بحب المجد والشهرة أو بأى  
شعور آخر مريض . فان وجد مثل هذا الرجل الذى  
يستطيع أن يقمع هذا الوحش الذى لا يمكن اقتناصه أو  
استئناسه ، فانه ينبغى عليه أن يقطع رؤوسه العديدة أو  
على الأقل لا يدعها تنمو . . . أما الذى لم يخلص نفسه من  
هذا الوحش فانه يجلب على نفسه محاربات مختلفة وهياج  
دائم ويأس كئيب .

## الكتاب السادس

هذا هو حالنا هنا كما سمعت . لكن ماذا يكون حالنا فيما بعد وكيف سنحتمل حين نضطر ان تقدم حسابا عن كل ما أوتمنا عليه ؟؟

لن يقتصر عقابنا على ما تلقاه من خزي وعار بل ان عذابا ابديا ينتظرنا بحسب قول الرسول « اطيعوا مرشديكم واخضعوا لانهم يسهرون لاجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابا » ( عب ١٣ : ١٧ ) . وان كنت قد اوردت هذا القول فيما ذكرته من قبل ، الا انى لن أغفل عنه الآن لان هذا الوعيد يؤرق نفسى باستمرار . فان كان الذى يعثر واحدا فقط يكون من الخير له ان « يعلق فى عنقه حجر الرحى ويفرق فى لجة البحر » ( مت ١٨ : ٦ ) وان كان الذين يعثرون الاخوة ويتعبون ضمائرهم الضعيفة يخطئون الى المسيح ( ١ كو ٨ : ١٢ ) ، فالذين يهلكون لا واحدا ولا اثنين او ثلاثة بل نفوسا عديدة فماذا يصيبهم ؟ وائى جواب يقدمونه عن ذلك ؟ لن ينفع هناك اعتذارهم بعدم الخبرة او الجهل ، او الاحتجاج بانهم اكرهوا على قبول الكهنوت . قد يكون الامر ميسورا لاحد افراد الرعية ان يتعلل بمثل هذه الحجج عن خطاياه ، اما الكاهن فلا يستطيع ان يحتج بها عن خطايا رعيته . لان الكاهن الذى اقيم لتصحيح اخطاء الآخرين وتحذيرهم من محاربات ابليس المنتظرة ، لن

- ٧ - الكهنة مسئولون عن تقديم حساب من خطايا ضميرهم .
- ٢ - الكهنة اشد احتياجا من الرهبان الى العذر والاحتراس .
- ٣ - الراهب يتمتع بهدوء الفكر اكثر من راعى الكنيسة .
- ٤ - الكاهن يؤتمن على جميع المسكونة فضلا عن واجباته الاخرى الجسيمة .
- ٥ - ينبغى ان يتكيف الكاهن مع كل الظروف .
- ٦ - حياة النسك بالنسبة للكاهن ليست علامة على قوة الاحتمال وحسن تدبير الشعب .
- ٧ - لا يتوى نسك من يعيش منفردا مع من يعيش فى العالم .
- ٨ - الذين يعيشون حياة الوحدة يثمنون فى الفضائل بأسهل من الذين يهتمون بالكثيرين .
- ٩ - لا ينبغى ان يستهين المرء بظنون العامة حتى ولو كانت على غير اساس .
- ١٠ - عقاب اثم الكاهن اعظم من عقاب اثم العلمانيين .
- ١١ - امثلة ونماذج للآلام والمخاوف التى يتوقعها الكاهن .
- ١٢ - محاربات الشيطان اشد قسوة من المحاربات الاخرى .

يستطيع أن يحتج بجهله كما لا يستطيع أن يقول : ماسمعت  
دق الطبول أو شعرت بالحرب .. لأنه - كما يقول حزقيال  
النبي - لهذا الأمر جلس ، وله وحده أقيم ، وهو أن يبرق  
للآخرين ليحذروهم من الأخطار الداهمة ، لذلك لا فرار من  
القصاص حتى ولو كان الهالك واحدا فقط . لأنه إذا رأى  
الحارس المعركة وشيكة ولم يبرق للشعب منذرا ،  
ثم اشتملت الحرب وهلكت نفسا واحدة ، فالتفست التي  
هلكت تكون قد أخذت بذنبها أما « دمه فمن يد الرقيب  
أطلبه » ( حز ٢٣ : ٦ ) .

- ٢ -

كف اذن عن توريطى في عقوبة لا مفر منها .. لأن حديثي  
لا يتصل بقيادة جيوش او ممالك أرضية ، ولكن بوظيفة  
تتطلب فضائل الملائكة . نفس الكاهن ينبغي أن تكون انقى  
من شعاع الشمس ، حتى لا يهجره الروح القدس ، وحتى  
يستطيع أن يقول مع بولس « فأحيا لا أنا بل المسيح يحى  
في » ( غلا ٢ : ٢٠ ) .

فان كان الذين يسكنون البرارى ويعتزلون الملا  
واسواقها وضحيجها ويسعدون بالهدوء والسلام  
لا يطمئنون الى امكانية دوام هذه الحال، فيازمون ذواتهم  
لا يحصى من التدريبات ، ويسيجون حول أنفسهم من  
جانب ، ويتعلمون كيف يتكلمون وكيف يسلكون

حرص ، لكى يتمكنوا بأقصى طاقة بشرية أن يتقربوا الى  
الله بداله وطهارة - فكم تظن الكاهن يحتاج من الجهاد  
حتى يحرر نفسه من كل دنس ، ويحفظ جماله الروحي  
بغير شائبة ؟ .. لا شك أنه يحتاج الى نقاوة أكثر مما يحتاج  
اليه سكان البرارى ، فهو معرض أكثر منهم الى مغريات  
يمكن أن تدنسه ، مالم يتسلح ضدها ، وبواجب في تيقظ  
وجهاد شديدين على قمع ذاته ...

... فالأمور التى تستخدمها النساء فى الإغراء ، كافية  
ان تشوش العقل ، مالم تتصدى لها النفس بتحكم  
شديد . وان البلبلة التى تثيرها هذه الأمور ليست  
مستفربة ، لكن الشئ الذى يدعو الى العجب والحيرة هو  
مهارة ابليس فى الإيقاع بالناس الذين نجوا من فخاخ هذه  
المغريات ليهلكهم بما يناقضها !! ...

- ٣ -

لقد حدث فعلا ان بعض الرجال الذين أفلحوا فى النجاة  
من هذه الفخاخ سقطوا فى أمور أخرى تختلف عنها كثيرا ،  
لأن مظهر السلوك البسيط ( لدى المرأة ) ومظاهر الفقر  
والحرمان ، قد تستميل الناظر فى البداية الى أن يرمى لها  
ثم تقوده الى هلاك كلى . وكثيرون ممن كانوا قد هربوا من  
الفخاخ الأولى المنصوبة فى طريق الإغراء ، يسقطون بسهولة  
فى الأمور الأخرى التى تختلف اختلافا بينا عنها ثم يهلكون .

فالراهب المنفرد ليس لديه سوى نفسه يخشى عليها .  
 وحتى ان اضطر الى الاهتمام بآخرين ، فانه من السهل  
 حصر عددهم ، الذى مهما بلغ فهو اقل عددا ممن يلتزم  
 الكاهن برعايتهم فى الكنيسة ، والاهتمام بهم اخف من  
 اولئك ليس لقلة عددهم فحسب ، بل لكونهم قد تحرروا من  
 اهتمامات العالم ، وليس مايشغلهم من شئون الزوجات  
 أو الأولاد أو خلافة ، وهكذا يكونون اكثر طاعة لرؤسائهم ،  
 واذا كانت عيشتهم مشتركة فانه بنظرة واحدة  
 يمكن التعرف على هفواتهم فيسهل اصلاحها ، ذلك لان  
 الاشراف الدائم للمعلم هو عون كبير للتقدم فى الفضيلة .

### — ٤ —

لكن الغالبية العظمى من أفراد الشعب الذى يرعاه  
 الكاهن تشغلهم اهتمامات الحياة ، مما يجعل اتمامهم  
 لواجباتهم الروحية ابطاً . ومن ثم كان من الضرورى أن  
 يقوم المعلم يومياً بذكر الكلمة ، لى بمداومة السماع  
 يثبت التعليم عندهم . لأن الثراء الفاحش ، والسلطان  
 الزائد ، والتراخى الناشئ عن الترف ، وما شاكل هذه  
 الأمور ، اذا انفقت واجتمعت خنقت البذور . وكثيرا  
 ماتقوم الأشواك الكثيفة بمنع البذور من أن تصل حتى الى  
 سطح الأرض . والضيقات الكثيرة والفقر الشديد  
 والاضطهاد الدائم وغيرها من الأمور التشابهاة والتي

فاذا كان بواسطة الفنى أو الفقر ، الجمال أو القبح  
 التزين أو اهمال المظهر ، بفتون الاغراء التى تستخدم  
 المرأة أو بالاشياء التى تختلف عنها . . قد سقطت قلوب  
 بسهولة وهلكوا نتيجة ماتنشئه فى نفس ناظرها من حرب  
 فكيف يمكن أن يتنفس الكاهن وقد احاطت به كل هذه  
 الفخاخ ؟؟ وأى ملجأ يمكنه أن يلوذ به لى يحفظ نفسه  
 بغير قلق من الافكار الدنسة ؟؟

والآن اتعرض للمجد الباطل الذى هو سبب لعلة  
 لايحصى من الشرور . فالخطايا التى تاتى عن طريق النسوة  
 تدنس الطهارة ، وقد تهلك الرجل اذا لم يسهر على مراعاة  
 نفسه من مثل هذه المحاربات . . أما الكرامة التى يبذلها  
 الرجال فما لم يتقبلها الكاهن بسمو الفكر فانها قد تقود  
 الى نوعين من الأمراض : طلب المزيد من المديح ، والكبرياء  
 اللاشعورى . وأما الذين يؤيدونه ويكرمونه فهو يضطرب  
 يخضع لهم ولاجل هذه الكرامات فانه يشمخ على من  
 دونه ، وينحدر الى هوة الكبرياء .

هكذا من يعيش وسط العالم ، يحتاج بالضرورة الى  
 يواجه ليس هذه الفخاخ فحسب ، بل اعظم منها وهو  
 خداعا . . أما الذى يسكن البرارى فهو يتحرر منها . ولكن  
 اذا عرض فى فكره فى بعض الاوقات هاجس قبيح ، وسوء  
 له صورة مما ذكرنا ، فهذا الخيال يكون ضعيفا خافيا  
 ويخمد سريعا اذ لايجد من الخارج الوقود الذى يلهبه

تناقض الأمور الأولى السابق ذكرها ، تصرف العقل عن الانشغال بالروحيات .

أما عن خطايا الكاهن وأثامه فلا يظهر له منها إلا القليل ، أما الباقي الكثير منها فلا يخطر على باله منه شيء .

ورغم أن علاقات الكاهن بشعبه تكتنفها صعوبات كثيرة ، فإنه إذا فحص علاقته بالله فإنه سيكتشف أنها أضعف ، لأن الكهنوت يحتاج إلى اجتهاد أعظم وأشمل . لأن من دعت الضرورة أن يكون سفيرا عن مدينة بأسرها - ولا أقول من مدينة فحسب ، بل العالم أجمع - يضرع إلى الله كي يصفح عن خطايا الجميع ، ليس فقط الأحياء منهم بل الراقدين أيضا - فأى الأنواع من الرجال ينبغي أن يكون ؟ أما أنا فلا أتصور أن دالة موسى وإيليا تكفيان لمثل هذه الضراعة .

فالكاهن ، لأنه أوتنم على العالم كله وصار أباً لجميع الناس ، يتقدم إلى الله متوسلا في الصلوات الخاصة والعامّة من أجل رفع الحروب في كل مكان ، وإخماد الاضطرابات ، ملتصبا السلام والهدوء لكل نفس ، والشغاف للمرضى . لهذا لزم أن يتفوق في كل فضيلة على من يصلى من أجلهم ، بمقدار ما يتفوق الحكام على رعاياهم . والذي نراه يستدعى الروح القدس ، ويقدم القرابين المقدسة ، ويتقرب على الدوام إلى الله . . . فبأى نوع من الفضائل

يلتحف ؟ وكرم من الطهارة والنقاوة تطلب منه ؟ ثم تأمل مقدار الطهارة التي يجب أن تتصف بها اليدان اللتان تخدمان هذه الأمور ، ومقدار البر الذي ينبغي أن يتصف به اللسان الذي ينطق بكلام الشريعة . . . كم يتطلب هذا من الكاهن طهارة وقداسة ، حتى يكون أهلا لأن تطوف حوله الملائكة والأجناد السماوية التي تملأ كل أرجاء الكنيسة تكريما للذبيحة الموضوعة على المذبح . وهذا يمكن أن ندركه من نفس الطقوس التي تمارس في القداس الإلهي . وفضلا عن هذا فقد سمعت بنفسى عن قسيس شيخ وقور تعود أن يرى رؤى ، وقد روى أنه استحق أن يرى منظرا يشبه ما وصفناه الآن . . . وقال أنه رأى في أحداها - وبمقدار ما أمكنه أن يمد بصره - سحابة من الملائكة في ملابس برفافة يحيطون بالمذبح وينحنون كما يليق بجنود في حضرة مليكهم . كما روى آخر - ليس كناقل قصة بل كمستحق أن يكون شاهد عيان - أن الناس الذين علي وشك الانتقال ، متى تناولوا من الأسرار المقدسة بضمائر تقية ، عند آخر نسمتهم تزفهم الملائكة وتحملهم تكريما لذلك الذي تناولوه .

أفلا تشعر أنت اذن أن قربت نفسا غير مستحقة إلى هذا السر الجليل ، أو رفعت إلى الكهنوت شخصا في رداء مدنس طرحه يسوع خارجا من بين المتكئين ؟! (مت ١٣: ٢٢)

ان نفس الكاهن ينبغي أن تتلألا كشعاع الشمس لتنير المسكونة كلها . أما نفسى فتخيم عليها سحابة مظلمة بسبب

ضميرى الشرير ، مما يجعلنى أنسحق دواما غير قادر ان أرفع بصرى الى الله . واذا كان الكهنة هم ملح الأرض ( مت ٧ : ١٣ ) فمن ذا الذى يحتمل قلة فهمى وانعدام خبرتى فى كل الأمور ، اللهم الا أنت الذى شملتنى بمحبة فائقة . فان الكاهن لا يكفيه الاتصاف بالطهارة ليكون أهلا لهذه الخدمة ، بل يحتاج أيضا الى أن يكون حكيما ومحكما فى أمور شتى ، وأن يكون خيرا بشئون العالم ، ليس بأقل من القوم المتصرفين فيه . وفى الوقت نفسه يكون متحررا من العالم أكثر من الرهبان سكان البرارى . لأنه طالما تدعوه الضرورة الى مخالطة المتزوجين وذوى الأبناء والخدم والثروة ، ومن يشغلون المناصب العامة ومن لهم نفوذ . . . هكذا ينبغى أن يكون هو أيضا متعدد الجوانب . وأقول متعدد الجوانب ولا أقول ذا كلف أو ملق أو رياء ، بل على درجة كبيرة من الحرية والثقة بالنفس والتضحية بالمصالح الشخصية ، حازما يجمع بين الرفق والشدّة ، لأنه يمسر أن يعامل أفراد رعيته بأسلوب واحد ، كما أن الطبيب لا يستعمل خطة واحدة لعلاج كل مرضاه ، ولا ينهج الرهبان منهجا واحدا فى مواجهة الأنواء ، لأن عواصف كثيرة مختلفة تحيط بالسفينة التى يديرها الكاهن ، وهى لاتصادمها من الخارج فحسب بل تاتى من الداخل أيضا ، فمن ثم تدعو الحاجة الى اتضاع كثير وحذر ، وكل هذه الأمور المتباينة يقصد بها هدف واحد هو مجد الله وبناء الكنيسة .

- ٥ -

عظيم هو جهاد الرهبان ، وكثير هو تعبهم . ولكن ان قارن انسان جهادهم بما ينطوى عليه الكهنوت الحقيقى من مشاق ، فانه سيجد الفارق بينهما واسعا بقدر ما هو بين الملك واحد أفراد الرعية . لأنه وان كان جهاد الراهب كبيرا بالحقيقة ولكن هذا الجهاد يشترك فيه الجسد والروح معا ، والجانب الأكبر منه يتم بقدر ماتسمح حالة الجسد ، فان وهن وضعف بقيت الرغبة كامنة دون أن تخرج الى حيز التنفيذ . لأن النسك الزائد فى الأصوام الكثيرة وافتراض الأرض والسهر والامتناع عن الاستحمام وغير ذلك من التدريبات الخاصة بتدليل الجسد ، تمضى جميعها بلا فائدة اذا كان الجسم الذى يراد ترويضه ضعيفا . اما بالنسبة للكهنوت فنقاوة الروح تاتى فى المرتبة الأولى . والأمر لا يحتاج الى صحة بدنية يمارس بها الكاهن فضيلته ويظهر قدرته على اذلال جسده . لأنه ماذا تفيدنا قوة الجسم اذا أردنا الا تكون متكبرين عنيدين ، أو أردنا أن نكون متيقظين وعفيفين ومتسربلين بباقى الفضائل التى رسمها بولس الرسول للكاهن الكامل !!؟ . .

- ٦ -

فكما ان السحرة والحواة يحتاجون الى عدد كبير من البكر والحبال والخناجر لكى يمارسوا ألعابهم ، وكما

يخترن الفيلسوف كل وسائل فنه داخل عقله بغير حاجة الى أجهزة خارجية هكذا الحال فيما نحن بصدده الآن . فالراهب يحتاج الى صحة بدنية ، ومكان يناسب منهج حياته بحيث يوفر له الهدوء المطلوب ...

اما الكاهن فلا يحتاج الى شيء من هذه لسد اعوازه ... طالما انه يحفظ ملكاته ومواهبه في خزائن عقله . فان اعجب انسان بقدرة الكاهن على الانفراد والوحدة بعيداً عن مخالطة عامة الناس ، فانا ارى ان مثل هذا السلوك هو دليل الصبر والثبات ، الا انه ليس علامة كافية على كمال النفس . لأن الذي يجلس على المركب في الميناء لا يعطى الدليل على براعته وفنه ، مالم يتمكن من ان يقود سفينته بسلام وسط البحر ، وحينئذ لا يقدر احد ان ينكر مقدار تفوقه .

### - V -

ولن يكون هذا أمراً غريباً ان نرى الراهب الذي يعيش بمفرده لا يضطرب ولا يسقط في خطايا كثيرة أو كبيرة ، لأنه لا يواجه الأمور التي تزعج عقله وتثبته . اما الذي يخالط الجماهير ويضطر الى حمل خطايا الكثيرين ، ومع هذا يبقى ثابتاً رصيناً يدبر السفينة وسط العواصف في هدوء وحكمة ، فهذا هو الرجل الذي يستحق التطويب بعدل لأنه قدم الدليل الكافي على شجاعته ومقدرته .

فلا تعجب اذن ان كنت بسبب تجنبى مخالطة الناس

لا أجد كثيراً يتهمونى . ولا تندهش ان كنت لم أخطئ في حال نومي ولم أسقط اذ لم يصارعنى أحد ولم يلحقنى اذى ان كنت لم أدخل في عراك مع أحد . فمن ذا الذى يستطيع ان يشهر بى أو يظهر عيوبى ؟ أهذا السقف أم هذا البيت ؟! بلى فانه ليس لهما لسان . . فهل تستطيع اذن والدتى التى تعرف شئونى أكثر من الجميع ان تجعلنى أخطئ ؟ حسنا فليس لى معها تعامل ولم نتخاصم يوماً ، وحتى ان حدث هذا فلا توجد أم يصل بها الحال الى ان تفقد جنانها وأمومتها ، ويعوزها العطف على ابنها حتى تسب وتكيل التهم أمام الجميع لولدها الذى حملته وربته من غير ان تكون هناك ضرورة ملحة أو شخص يحثها على التصرف هكذا . ومع هذا فلو أراد انسان ان يكتشف نفسى لوجدت هناك أشياء كثيرة فاسدة . ولعلك أنت بنوع خاص تدرك ذلك ، فقد اعتدت ان تغمرنى بمديحك عند الجميع . ولكنى لست أقول هذه الأمور لمجرد التواضع ، فانى اذكر كم من مرة قلت لك ونحن نناقش هذا الموضوع : اذا خيرت بين النجاح في رعاية الكنيسة أو في حياة الرهبنة فانى سأفضل ألف مرة الامر الأول . لانى لم أفر عن تطويب أولئك الذين يستطيعون تدبير هذه الخدمة حسناً ولن يخالفنى أحد في أنه لو كنت صالحاً لحمل هذا النير الذى أحسبه بركة لما فررت . ولكن ما خيلتى ؟ فما من شيء يضر بخدمة الكنيسة قدر ما عندى من تكاسل وأهمال

قد يظنه البعض انه نسك ولكنه قناع أخفى وراءه فشلى ، وأحجب به كثرة خطاياى حتى لاتتكشف . لأن من اعتاد أن يركن الى الراحة ويمضى وقته فى كسل واسترخاء فحتى لو كان نبيل الطبع فانه سيرتك لقله حيلته ... أما اذا كان بطيء الفهم وغير خبير بهذه الجهادات - وهو ماينطبق على حالتى - فمتى أوكلت اليه هذه الخدمة فلا فرق بينه وبين تمثال حجرى . لذلك فقليلون من الداخلين الى هذا الاختبار العظيم هم الذين يتألقون ، والعالية ينكسفون ويفشلون ويعتثرون أمام صعوبات وآلام كثيرة . . ولا غرابة ، فهناك فارق بين المناضل الذى صقلته التجارب والبلايا وبين المتهاون غير المدرب .

لأجل هذا ينبغى للقادم على هذه المعركة أن يحتقر المجد الباطل ويتسامى عن الغضب وأن يتصف بالحكمة والحصافة . أما الذين ألفوا حياة الوحدة فليست بهم حاجة الى ممارسة هذه الفضائل،لأنه ليس هناك من يثيرون غضبهم حتى يمارسوا كبح جماح غيظهم . وليس لهم معجبون أو تابعون حتى يتدربوا على احتقار المديح . وليست لهم حاجة الى الحكمة والفتنة التى تتطلبها رعاية أمور الكنيسة . من أجل هذا فانهم اذا أقدموا على جهادات ليس لهم خبرة بها ، يحارون ويفقدون رشدهم ويتملكهم اليأس . وعوض أن ينموا فى الفضيلة نراهم يفقدون ماقد يكون لديهم منها .

## - ٨ -

**باسيليوس :** وماذا بعد ؟ أنولى شئون الكنيسة من شغلوا بأمور العالم ، وبرعوا فى المشاحنات والثلب والقدح ، وامتلأوا غشا ، وتمرسوا فى فنون اشباع الشهوات !!!

**ذهبي الفم :** صبوا ياعزيزى ، فلا يمكن أن يدور بخلدك عند اختيار الكهنة أن نتخب من هم هكذا ، بل ينبغى أن يتم الاختيار من بين الذين استطاعوا بعد الاختلاط بالعالم أن يحفظوا طهارتهم بلا دنس ويحتقروا أمور العالم وشهواته ويعيشوا فى نسك وهدوء ويقظة متحلين بباقى فضائل الرهبان أن لم يزيدوا عنهم فيها .

أما الذى استطاع بعزله وعدم اختلاطه بالناس أن يحجب عيوبه ، فانه ان خرج الى المجتمع فسرعان ماينكشف أمره ويصبح أضحوكة ويقابل المخاطر التى كدت أنا أن أجاهبها لولا عناية الله التى أزاحت جمر النار عن رأسى . لأن من كان بهذه الصفة لا يخفى أمره على أحد اذا عين فى مكان بارز ، لأن كل أموره ستتكشف . وكما أن المعادن تمتحن بالنار هكذا الكهنوت يميز نفوس الناس ويفرزها . فأى انسان ان كان غضوبا أو صغير النفس أو ساعيا وراء المجد أو كان متعجرفا أو مهما كان فيه من أمثال هذه الخصال ، فان أمره ينفضح وسريما ماتنكشف عيوبه .



ولا تنكشف فقط بل تبدو أكثر شناعة وقبحا . فكما أن جروح الجسد يصعب شفاؤها اذا خلدت فشرتها ، هكذا صحة النفس اذا تهيجت واثرت فانها تزداد حدة وتدفع أصحابها الى السقوط في خطايا أكبر .. لأن هذه الأسقام تجر من لا يقيمها الى طلب المجد والكبرياء والسعى وراء مقتنيات العالم ، ثم تجعله ينحدر الى الترفه والراحة والكسل ، وشيئا فشيئا الى شرور أقبح . فما أكثر الظروف القادرة في المجتمع على تضليل الفكر وإعاقة الطريق المستقيم المؤدى الى الله . وأعظم هذه الشرور مخالطة النساء وليس من الممكن للأسقف الذي أقيم على الرعية كلها أن يعنى بالرجال ويهمل النساء اللاتي هن أكثر حاجة الى الاهتمام ، بسبب تخوف الاسقف من التعرض للخطية . لذلك يهتم على المتصدر للأسقفية أن يعنى بصحة النساء الروحية ، وأن لم يكن أكثر من عنايته بالرجال فعلى الأقل قدر اهتمامه بهم . لأنه من الضروري أن يفقدن في مرضهن ويعاوين في شدائدهن . وفي مثل هذه المواقف يجد الخبيث مداخل عديدة تستلزم أن يحسن المرء نفسه امامها بيقظة حارة . فليست العين الفاجرة وحدها بل العفيفة أيضا قادرة على أن تنفذ الى أعماق الفكر فتشوشه . والاطراء يوهن العزم ، والكرامات تستعبد الانسان . وحتى الحجة المتقدمة التي هي نبع كل خير - تصبح سببا لعدد لا يحصى من الشرور لمن لا يحسن

استخدامها . وإلى جانب كل هذا فان الاهتمامات العديدة تفقد العقل حدته وتثقل الفكر . ومتى انفجر الغضب نار كالدخان في جوانح الانسان ، وسيطر على انسانيته الداخلى .

- ٩ -

فضلا عن الأذى الناجم عن الحزن والاهانات والشتائم والتقريع من الأكابر والأصاغر من العقلاء والسفهاء - لأن الذين ينقصهم الفكر الصائب مغمومون بالنقد واللوم ولا يقبلون حجة أو عذرا . لهذا وجب على الأسقف الحكيم ألا يستهين بهؤلاء بل يعنى بمعالجة نتائج ما يثيرونه حوله برحابة صدر واتساع ، متسامحا فيما ينسبونه اليه من أخطاء بغير حق ، عوض أن يسخط عليهم ويفضب . لأنه ان كان بولس الرسول قد خشي أن يتهمه تلاميذه بالسرقة ، من أجل هذا فوض آخرين ممن أؤتمنوا على خدمة المال حتى يتجنب كما يقول « أن يلومنا أحد في جسامه هذه المخدمة منا » ( ٢ كو ٨ - ٢٠ ) أفلا ينبغي أن نفعل نحن كل ما نستطيع لنزيل الشكوك الرديئة ، حتى وان كانت لا أساس لها وغير معقولة وغريبة عن تفكيرنا ؟! . فنحن لسنا بعيدين كلية عن أى خطية بمقدار ما ابتعد بولس الرسول عن السرقة . ورغم بعده البين عن هذه الخطية فإنه لم يستهين بظن العالم .. فقد كان من الجنون أن يثار شك حول هذا القديس المغبوط ، ومع هذا فإنه لم

يستبعد أسباب هذا الظن رغم لا معقوليته ورغم عدم تصديق أى عاقل له . كما لم يزدو بسخف العامة ، ولم يقل فى نفسه : من ذا الذى تسول له نفسه ان يشك فىنا بعد هذه العجائب التى فعلناها وقوة الاحتمال التى اصطبغت بها حياتنا ، وبعد كل هذا التكريم والاحترام الذى لقيناه منكم ؟! .. لكنه على العكس توقع هذا الشك الحقيق واقتلعه من جذوره ، أو على الأصح لم يدعه ينمو على الاطلاق .. فلماذا فعل هذا ؟؟ يقول الرسول : « معنيين بأمور حسنة ليس قدام الرب فقط بل قدام الناس ايضا » ( ٢ كو ٨ : ٢١ ) . فبهذا المقدار من الحماس وأكثر منه ينبغي أن نتصرف لى نخدم ونمنع الشائعات الرديئة ، ويكون لنا بصيرة تجعلنا نتداركها قبل تفاقمها ، فنزيل الأسباب المؤدية إليها ولا ننتظر حتى تثبت وتصير موضوع الاحاديث التى تتناقلها الألسن ، لأنه يصعب فى تلك الحالة هدمها والخلص من آثارها بغير أن يلحق ضررها بالكثيرين .

لكن حتى متى أظل اطلب ما لا يمكن بلوغه ؟ لأن من أراد أن يعدد كل المصائب فكانما يريد أن يعدد أمواج المحيط . فحتى لو تنزه المرء عن الهوى - وهو أمر مستحيل - من أجل اصلاح ضعفات الآخرين ، فهو مضطر الى احتمال الكثير من البلايا . فاذا اضيفت الى هذه أيضا هفواته فكم يخطر من هم ونكد ؟ فكل هذه ينبغي أن يَحتملها من يريد ان ينتصر على خطاياہ وخطايا تابعيہ .

- ١٠ -

**باسيليوس :** فهل خلوت اذن من المتاعب ؟ أليست لديك الآن هموم وانت تعيش وحيدا ؟؟

**ذهبي الفم :** لاشك لدى الكثير من الهموم ، لأنه كيف يمكن أن يحيا انسان هذه الحياة المليئة بالمتاعب والصعاب ثم يخلو من المشاكل والهموم ؟ .. ولكن كما ان الامر ليس واحدا بين من يفوص فى لجة لانهاية لها وبين من يعبر نهرا ، هكذا هو الفرق بين اهتمامات المتوحدين ومتاعبهم وبين سكان العالم . فلو كان فى مقدورى أن أعتنى بأمور غيرى لما توانيت ، لان هذا هو ما أتمناه وأصلى من أجله لكن حيث لا أستطيع أن أفعل هذا بل أجاهد لى أنقذ نفسى من الهلاك فهذا يكفينى .

**باسيليوس :** أظن ان هذا أمر عظيم ؟ وهل تتصور أنك ستخلص بغير ان تخدم غيرك ؟؟

**ذهبي الفم :** لقد أحسنت القول ، لانى لا اصصدق شخصا أن الانسان يمكن أن يخلص اذا لم يسع لأجل خلاص أخيه ، والا لكان قد انتفع بهذا ذلك الرجل الشقى الذى ورد ذكره فى الكتاب المقدس والذى لم يمس ما أعطاه سيده من الوزنات ، فهلك لأنه لم يضعها عند الصيارفة حتى تتضاعف لحساب سيده ( متى ٢٥ : ٢٤ - ٢٧ ) .

ومع هذا فاني اظن ان حسابي عن تقصيري في خدمة الآخرين يكون اھون مما لو حوكت من هلاك نفسي والآخرين بسبب سوء تصرفاتي بعد نوال نعمة الكهنوت . فانا اثق ان عقابي الآن سيكون على قدر خطايای . لكن أخشى بعد قبولي هذه الكرامة ان يتضاعف عقابي ليس مرتين او ثلاثة فحسب بل مرات بعدد من تسببت في أعتابهم . وأی ذنب افطع من ان استخدم الكرامة التي شرفني بها الله في اغضابه ...

- ١١ -

فلنفس هذا السبب اذان الرب شعب اسرائيل بشدة ، وأبان لهم أنهم كانوا يستحقون عقابا أشد لأنهم أخطأوا بعد كل ما أغدق عليهم من احسانات . . فيقول : « أعاقبكم على جميع ذنوبكم » ( عاموس ٣ : ٢ ) ويقول أيضا : « واقمت من بينكم أنبياء ومن فتياكم نذيرين » ( عاموس ٢ : ١١ ) وقبل زمان الأنبياء لما اراد الله ان يظهر كيف ان خطايا الكهنة كانت تستحق عقابا أشد من الشعب ، أمر ان يقدم عن الكهنة من القرابين بمقدار ما يقدم عن الشعب كله ( لا ٤ : ٣ - ١٤ ) مما يدل على ان جراح الكهنة تحتاج الى عناية بمقدار ما تحتاج خطايا الشعب بأسره . وما كان الكهنة يحتاجون الى هذا كله لو لم تكن افعالهم أسوأ . فهي في الحقيقة ليست بطبيعتها

سيئة ، بل تضاعفت بسبب تجاسرهم على حمل نير الكهنوت بغير استحقاق . وما لي أتكلم عن الكهنة ، ان كانت بنات الكهنة اللاتي لانصيب لهن في الكهنوت - لكن بسبب الكرامة التي نالها آباؤهن يتحملن عقوبات أشد عن مثل الخطايا التي ترتبها باقى بنات الشعب . فاذا سقطت في الزنى بنات من الفريقين كان عقاب بنات الكهنة أشد قسوة مما تلاقيه بنات الشعب . أفرايت كيف يقدم الله البراهين العديدة عن شدة العقاب الذي ينزل على الحاكم اكثر من المحكوم ؟! . . فهو يعاقب ابنة الكاهن أكثر من غيرها بسبب انتمائها الى أبيها . وسوف يعاقب أباه لهذا السبب عينه عقابا أقسى من عقاب آباء بنات الشعب ، لان الضرر والخسارة لا تقف عند حد الكاهن وحده بل تشمل نفوس الآخرين من الضعاف ومن يقتدون به . وهذا ماعناه حزقيال النبي في نبواته عن الحكم بين «شاة وشاة» . بين كباش وتيوس « ( حز ٢٤ : ١٧ ) .

- ١٢ -

أرايت كيف ان خوفنا له ما يبرره ؟ . . . فضلا عما أوردته فاني احتاج من جانبي الى كفاح وجهاد حتى لا تفمرني أوجاع النفس ، ومع هذا فانا أحتمل التعب ولا أهرب من القتال . فحتى الآن يستهويني السبح الباطل . . . لكني كثيرا ما أرجع الى نفسي فأرى اني خدعت ، وفي

مرات أزجر نفسى المستعبدة لهذه الخطية . وحتى الآن تراودنى أيضا شهوات فظيعة ، لكن اشتعالها يكون هافتا طالما لا يعلق نظرى بوقود يمكن أن يغذى نيران الشهوات . حقيقة انى استرحت تماما من التكلم عن الغير أو سماع النميمة ، اذ ليس هناك من أكلمه ولانه ليس للحوائط السنة حتى تتكلم ، ومع هذا فان تحاشى الغضب ليس دائما من السهل رغم عدم وجود ما يبعث عليه . فكثيرا ما يتسبب تذكر الناس المفسدين وأفعالهم الشريرة فى اثاره قلبى . ولكن لا يتم هذا بصفة دائمة، فسرعان ما اطفىء لهيب الغضب وأعيد السكينة الى قلبى مقنعا نفسى بأنه من غير الملائم أن يتفاقل الانسان عن خطاياہ وينشغل بخطايا غيره . فلو أنى خالطت الناس واندمجت فى مثيرات عديدة ، لما تمكنت من الاستفادة من هذه التحذيرات والتأملات الروحية التى تهذب سلوكى . فكما أن من يجرفه تيار عظيم الى الهاوية يدرك الدمار الذى سينحدر اليه ولا يستطيع أن يفكر فى ملجأ يلوذ به ، هكذا يكون حالى حين أتخطئ بين ضجيج شهواتى وأرى عقابى يزداد كل يوم . أما ان اسيطر على ذاتى كما هو حالى الآن وأزجر مثل تلك الشهوات التى تنور بين جوانحى ، فلن يكون امر سهلا كما كان قبلا لأن نفسى ضعيفة صغيرة سهلة الانقياد ، ليس أمام هذه الشهوات فحسب بل أيضا تجاه الحسد الذى هو أشر الأمراض كلها ، كما أنها لن تحتمل الاهانات أو الكرامات

باعتماد . . . فالاهانات تكدرها ، والكرامات تجعلها تشمخ . وكما أن الوحوش متى كانت فى كامل قوتها تغلب من يحاربها ، وأما ان أصابها الوهن والضعف وأذلها الجوع فانه يسكن غيظها وتهمد قوتها حتى سهل ليس للقوى فقط بل للضعيف أيضا غلبتها . هكذا حال المحاربات الروحية فان من يذل جسده يمكنه قياد نفسه بحكمة ، ومن يسرف فى تدليل جسده وتغذيته يصير عراكه معه أشق ، فيتمرد جسده ويقضى حياته فى خوف ورعب .

فعلام تتغذى هذه الوحوش اذن ؟ . . . غذاء السبع الباطل : الكرامات والمديح . وغذاء الكبرياء : امتداد السلطان والنفوذ . وغذاء الحسد : نجاح الجار . وغذاء الشح : سخاء الكريم . وغذاء الشهوات الجسدية : الترفه والصحبة الدائمة للنساء . ولكل مرض من الأمراض مايفذيه . وجميع هذه تهاجمنى بشدة ان أنا نزلت الى العالم ، فتمزق نفسى وتحطمها وتجعل معركتى معها أشد صعوبة . بينما لو بقيت هنا فى وحدتى لتمكنت من اخضاعها بشدة وبفضل الله يمكن قهرها . . .

من أجل كل هذا التزم قلايتى . لا اخالط أو احادث أحدا واحتمل ملامة مثل هذه . . . فليس من السهل أن اكون اجتماعيا وفى الوقت نفسه اضمن سلامتى . لهذا أرجو أن تشمل بعطفك من يواجه هذه الشدة بدلا من أن تبكته .

أما وأنى لم افلح حتى الآن في اقناعك ، لذا فقد آن الوقت كى القى عليك بسرى الخفى . وقد لا يصدقنى الكثيرون فيما أقول ، ولكن مع ذلك فلن أخجل من اعلان الحقيقة أمام العالم . اذ رغم أن سرى هذا يكشف عن ضمير شرير واثام عديدة الا أن الله العتيد أن يديننا لا يخفى عليه سر ...

### ماهو إذن هذا الأمر الذى لم أبح به بعد؟؟

منذ ذلك اليوم الذى ألقىت الى دعوة الكهنوت ، أهدرت كيانى كله وأصابنى الفزع وخيمت على نفسى سحابة من الكتابة . لأننى كلما تفكرت فى مجد عروس المسيح وطهارتها وجمالها الروحى وحكمتها ولياقتها ، ثم أقارن هذا بما لدى من مناقص فانى أرئى لحالها وحالى . ووسط حزن متصل وحريرة كنت أخطب نفسى : من الذى أشار بهذا ؟ وكيف تخطيء الكنيسة هذا الخطأ العظيم ؟ ولماذا تثير غضب الله حتى تقدم الدعوة لى أنا أحقر الناس جميعا فتعانى عارا هذا مقداره؟؟ ومازلت أردد هذه الأفكار فى نفسى مرارا ، واذ لم أستطع احتمال فكرة هذا الأمر الخيف استفرقت فى ذهول وصمت غير قادر أن أسمع أو أرى شيئا . وحين كانت حالة اليأس هذه تفارقنى أحيانا تنساب دموعى ويتملكنى قنوط . وبعد فيض من الدموع يستولى على الجزع من جديد ليزعجنى ويربكنى

ويزعزع أفكارى . ووسط هذه الدوامة أمضيت أيامى السالفة وأنت لا تدرى عن حالى شيئا ، وتظن أنى أعيش فى سكون وهدهوء . الا أنى أود أن أكشف لك القناع عن الأنواء التى اجتاحت نفسى ، عساك تصفح عنى وتعدل عن اتهامك لى ...

فلنفترض أن ابنة ملك العالم كله مخطوبة لإنسان ما ، وأن هذه العروس قد فاقت بجمالها البارع الطبيعة البشرية ... كما أنها سمت بفصائلها الروحية على جنس الرجال الموجودين والذين سيولدون أيضا ، وتفاضلت بحسن أخلاقها الى حد الخيال ... ونفرض أن خطيبها ... وهو يهيم بحبها ، سمع أن رجلا حقيرا خسيسا لا أصل له ومشوه الخلقه ، وبالجملة دنيئا سيقترن بعذارته المحبوبة الجميلة !! فهل نجحت فى أن أطلعك على جانب ضئيل مما يكدرنى ؟ ...

### وسأضرب لك مثلا آخر :

نفرض أن جيشا مكونا من المشاة والفرسان وقطع البحرية ... ولنتصور أنه قد وقف فى مقابل هذه الجيوش عدو من البرابرة المتوحشين ، ثم بدأت المعركة . ولنتخيل أن أحدهم اختطف صبيا نشأ فى الريف ولا يدرى شيئا الا رعاية الغنم ، ثم ألبسه بدلة عسكرية وسلحه بأسلحة

نحاسية ، وطاف به أرجاء المعسكر وأراه الفصائل وقادتها  
ورماة القوس والمقاليع وقادة الجيوش وأمراءها والفرسان  
وخيلها ورماة الرمح والفيالق وأمريها والمراكب الحربية  
وقد حشد عليها الجند وامتلات بالعدد المهيأة للحرب .  
وأظلمه أيضا على مخططات العدو الدفاعية ومخازنه  
المختلفة ... وعدد له أهوال الحرب وكوارثها ... والدماء  
التي تسيل انهارا وأنين الجرحى وصراخ الأحياء وأثلاء  
القتلى ... والأرض التي لاتراها من كثرة ما عليها من  
قتلى ودماء ورماح وأسهم وسنابك خيل وأثلاء جند  
وعجلات عربات حربية وخوذات . ثم عدد له بعد هذا  
مصائب القوات البحرية واحتراق السفن الحربية وسط  
الأمواج وغرقها بمن عليها من رجال مسلحين ... وامتزاج  
مياه البحر بدماء الجرحى وملاطمتها للسفن وتناثر جثث  
القتلى ... فاذا أحيط هذا الصبى بكل ويلات الحرب  
ومصائبه ، ناهيك عن ذل الأسر والاستعباد الذي يفوق  
شره كل أنواع المميتات ، ثم أركب حصانا وأطلقت يده  
في قيادة كل هذا الجيش ... افتظن حقا أن لهذا الفتى  
قدرة أن يتحمل هذا؟! أم أن يخور ويرتمد هلعاً عند أول  
نظرة .. !!؟

## - ١٣ -

لا تظن انى قد بالفت وعظمت الأمر فيما صورتها ،  
ولا تفترض انه مادمننا مسجونين داخل هذا الجسد بحيث  
لاستطيع أن نعاين شيئا من أمور العالم غير المنظور فقد  
غالينا فيما ذكرناه . فلو كان ممكنا أن نعاين بهاتين العينين  
المحسوستين صفوف جند الشيطان المظلمة ومحارباته  
الشريرة لرأيت حروبا أعظم وأشنع مما وصفناه . فهذه  
ليست حربا على أمهر محسوسة مثل عربات حربية وعجلات  
أو نيران أو نبال ، بل مع أسلحة أشد فتكا . والإنسان في حربه  
هذه لا يحتاج الى ملابس أو درع أو سيف أو رمح ، اذ  
يكفى أن يرى المرء هذا الشيطان اللعين حتى تصاب نفسه  
بشلل ما لم تكن هذه النفس نبيلة للغاية ، وأن تحظى  
الى جانب شجاعته بمعونة وافرّة من الله . ولو كان في  
امكانك أن تخلع هذا الجسم أو حتى تستبقه على أن تعاين  
بالعين المجردة بوضوح وغير خوف صفوف جند إبليس  
ومحارباته ضدنا لكنت ترى ليس أنهار دماء وجثث موتى بل  
كنت تبصر نفوسا سافطة وجروحا لا تلتئم ، حتى لتظن  
أن كل أهوال الحرب التي سبق أن صورتها لك لاتعدو أن  
تكون عبث أطفال ولهوا أكثر من كونها حربا . وكثيرون  
يصابون يوميا في هذه الحرب ، ولكن جروح كل من هذين  
الحريين لا تؤدي الى موت من نوع واحد . فكما أن الفرق  
شاسع وكبير بين الجسد والروح هكذا الفرق واسع بين

حتى أثناء النوم . وهذا يقتضى أمرا من اثنين : أما أن يسقط ويهلك بغير سلاح ، أو يبقى ساهرا مدججا بالسلاح لأن ابليس يقف بصفوفه يترصد غفلتنا باذلا من الجهد والحمية لهلاكنا أكثر مما نبدل نحن لخلص نفوسنا .

ولكونه غير منظور فان مباغتته لنا تسقط غير المستعدين في شُرور لا حصر لها ، مما يؤكد أن هذه الحرب أشق وأصعب من الحرب الحسية .

افبعد هذا تريدنا أن نقود جند المسيح ؟ .. ان هذا يعنى قيادتهم لخدمة الشيطان ، لانه ان كان القائد الذى يأمر ويدبر هو أضعف افراد الجماعة وأقلهم حنكة وتجربة ، فانه لعدم اختباره يقود من أؤتمن عليهم الى طريق ابليس وليس الى طريق المسيح ... فلماذا تنهد وتبكى ؟ ... فالأمر لا يستوجب النوح بل الفرح والسرور .

**باسبيليوس :** بل ان حالى هو الذى يستوجب النحيب والرثاء ، لاني بدأت أدرك الى أى حد من الشرور قد دفعتنى .. لاني أتيتك طالبا معرفة الأعدار التى يمكن أن أبرر بها موقفك أمام من يلومونك ، لكنك أخرجتني مهتما بأمر آخر ، اذ لم يعد يعنينى ما أقدمه منك من تبريرات بل ما احتج به عن أخطائى أمام الله . لكنى أسالك وأرجوك ان كان حقا بهمك امرى ، وان كانت هناك تعزية في المسيح ،

موت كل منهما . فالروح اذا جرحت وسقطت فانها لاترقد كالجسد الميت بل انها تعذب بالضمير الشرير ، وبعد انتقالها من هذا العالم في يوم الدينونة فانها تسلم لعذاب ابدى . واذا كان الانسان لا يحزن لما يصيبه من جراحات ابليس فما أصعب مايناله نتيجة عدم احساسه هذا ، لأن من لم يتألم من الجرح الأول فلن ينجو من الاصابة بجرح ثان يليه جرح ثالث .. لأن ابليس اللعين ان يكف عن حربه الى النفس الأخير كلما وجد نفسا مستلقية متهاونة بما أصابها من جروح . واذا تساءلت عن فنون حرب ابليس لوجدتها أشد قسوة وأكثر تنوعا ، فلن يضارعه احد في أنواع الحيل والخداع ... ولا يمكن لأحد ان يحمل هذا القدر من الكراهية والحقد لألد أعدائه كما يحمل ابليس للبشرية . بل لو أننا تخيرنا أشد الوحوش شراسة وفتكا وقارناه بما لدى ابليس لوجدنا هذا الحيوان أكثر منه لظفا وخضوعا . فابليس ينفث حقدده وكراهيته عند مهاجمة نفوسنا . كما وان زمان الحرب الحسية يكون قصيرا ومحدودا وتتخلله فترات هدنة عند حلول الليل او التعب من القتال وخلال اوقات الطعام وغير هذه من الأسباب التى من أجلها يمنح الجندى هدنة لكى يتخفف من أسلحته ويلتقط أنفاسه وينعش قواه بالطعام والشراب وما أشبه ليجدد حيويته . أما في حرب الشيطان فلا يمكن للانسان الذى يريد أن يعيش بلا لوم ان يلقى عنه سلاحه

او تسلية من أجل المحبة ، وان كانت احشاء ورافة ( في ٢ : ١ ) فانت دون الجميع قدتنى الى هذا الخطر . فامدد لى يد العون ، وقل وافعل مااستطيعه من اجل نجاتي ، ولا تقسى قلبك فتركنى ولو لحظة واحدة ... لانى اصبحت الان اكثر من اى وقت مضى محتاجا الى قربك منى .

**ذهبي الفهم :** فتبسمت وقلت كيف يمكن ان اكون نافعا لك او افيدك ازاء عظم المهام الموضوعه عليك ؟ ... ولكن طالما ان هذا يسرك فتشجع ايها العزيز ، لانه في كل وقت تكون فيه خاليا من اهتماماتك ساتى اليك مواسبا دون ان اتوانى عن اى جهد في مقدورى .

فلما سمع ذلك بكى اكثر ، ثم نهض فعانقته مقبلا راسه ، وشيعته مشجعا اياه على تحمل رسالته ببسالة .. وقلت له : انى اثق في المسيح الذى دعاك واقامك على رعيته انك ستكسب من هذه الخدمة دالة امامه تجعلك قادرا على ان تقبلنى في مسكنك الابدى ان تعرضت لخطر في اليوم الاخير .